دير السيدة العذراء
المحرق

البابا ثيوفيلس

البطريرك الاسكندري

الثالث والعشرون

« ٣٨٥ - ٤١٢ م »

البابا ثيوفيلس

البطريرك الاسكندري

الثالث والعشرون

« ٣٨٥ - ٤١٢ م »

إصدار

دير السيدة العذراء

المحرق

الكتـــــاب : البابا ثيؤفيلس البطريرك الأسكندري (٣٨٥ - ٤١٢م)
اصـــــدار : دير السيدة العذراء - المحرق - أسيوط
الـطـبـعـــة : الأولى ١٩٩٠م
حقوق الطبع : محفوظة للدير
جمع تصويري : جي. سي. سنتر - مصر الجديدة
المـطـبـعـة : دار نوبار للطباعة - شبرا - القاهرة

رقـم الإيـداع : ٣٠٩٥/ ١٩٩٠

قداسة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث

نيافة الحبر الجليل الأنبا ساويرس

أسقف ورئيس دير المحرق

مقدمـــة

هذا الكتاب الذى بين يديك ايها القارىء الحبيب هو ثمرة مقتطفة من احدى ثمار موسوعة دير المحرق الجارى اعدادها والتى صدر منها كتاب عن دير المحرق (تاريخه ـــ واثاره ...) [**راجع مقدمته**]

ونظراً لارتباط تاريخ الدير فى أواخر القرن الرابع الميلادى بالرحلة الطويلة التى قام بها البابا ثيؤفيلس من الإسكندرية حتى أسوان (ذهاباً وإياباً) ، حيث زار فيها الدير وقتئذ ورأى الرؤيا المباركة للسيدة العذراء والدة الإله ...

فقد رأينا من الواجب الاهتمام بسيرته وتجميع كل ما قيل عنه قديماً وحديثاً ـــ بقدر المستطاع ـــ ، فبدأنا هذا العمل مسترشدين بنعمة الإله لنخوض بحثاً شاقاً فى المصادر القديمة مستأثرين كل فكر فى طاعة المسيح حتى يكون سبب بركة للقارىء وفائدة للباحث .

ولقد أعدّت هذه الدراسة فى شكل أكاديمى بأسلوب منهجى بحت ، ولكننا وجدناها غير مشوِّقة فى منهجها العلمى لعموم القراء ، لذلك أعيد إعدادها بصورة أفضل حتى يتسنى إستيعابها ، وخصوصاً ـــ وعلى حسب علمنا ـــ إنها تعتبر المرة الأولى التى ينشر فيها مثل هذه الدراسة المنهجية باللغة العربية لسيرة البابا ثيؤفيلس .

كما آثرنا ألاَّ نرهق القارىء الحبيب فى قوائم المراجع الأجنبية والعربية الخاصة بهذه الدراسة ، أملاً فى تحضير طبعة خاصة للدارسين والمختصين فى هذا المجال إن أعاننا الرب وعشنا .

وقد قسمت هذه الدراسة الى قسمين :

القســـم الأول :

أ ــ سياسة الإمبراطورية الرومانية ومكانة الكرسى الإسكندرى فى عصر ما قبل وأثناء وبعد البابا ثيؤفيلس .

ب ــ حياة البابا ثيؤفيلس وأقواله وأعماله وكتاباته ... إلخ .

القســـم الثانـى :

المشكلة الخاصة بنفى القديس يوحنا ذهبى الفم .

وقد اتضح أثناء الدراسة بعض الملاحظات الهامة ، وهى :

١ ــ تلك المخطوطات والكتب المطبوعة التى ارتدت رداء الحملان ولكنها فى الحقيقة هى ذئاب خاطفه لتشتيت رعية المسيح التى اقتناها بدمه الكريم وخصوصا ليس كل المخطوطات القديمة سليمه من الوجهة الكنسية ففيها الصالح والطالح . لذلك تحتاج الى الحرص الشديد عند الفحص والدراسة ويصبح العمل كانه انتقاء الورود من وسط الأشواك ، أى بمعنى تخليص المعلومة الصادقة من الاختناق الحاصل عليها من المعلومات الكاذبة الكثيرة . وهذا لا يتم بمقدرة بشرية ولكن بنعمة رب المجد المعضددة والمعينة فى حينه .

٢ ــ إن ليس كل من يكتب أو يؤلف كتابا هو كاتبا ، أو من يؤرخ هو مؤرخا . كما يجب التفريق بين المراجع Referances والمصادر Sources لأن

ليس كل كتاب هو مرجعاً وليس كل مرجع هو مصدرا .. لأن هذه الأمور لها اسس وقواعد وضوابط معينة يعرفها الدارسون والمتخصصون .

وإن للكتابة والنقل شروطا لانها مثل الوباء الذى يتفشى فينقل العدوى من مكان لآخر لعدم مقدرة التغلب عليه .. فان كانت الكتابة غير صادقة تنتقل عدواها عبر البلاد والدول دون قصد ومع الازمنة تصبح بعد ذلك قاعدة مسلم بها .

ومن شروط النقل أو الكتابة فى التاريخ :

أ ــ أن تكون الشهادة التاريخية الصحيحة لها أجماع وتواتر .

ب ــ لخلو أى حادثة من الضلال يلزم تعدد الرواة الذين عاصروا وقوع الحادثة أو نقلوها عمن شاهدوا حدوثها لأنه بالطبع من الصعب التسليم بان عددا عظيما فقدوا استعمال العقل والحواس واهملوا كل وسائط المعرفة وانخدعوا أو خدعوا غيرهم .

جـ ــ التأكد من خلو الرواة من المقاصد المنحرفة للتضليل .

٣ ــ عند الدراسة فى العصور القديمة والشخصيات التى عاشت فيها ، يتطلب الأمر إلى الإلمام بتقاليد ذلك العصر واتجاهاته والوقوف على ذوقه ومنطقه حتى يسهل بعد ذلك تقدير الاعمال تقديراً صحيحاً ويستقيم للدارس فهم الشخصيات التى عاشت فى ذلك العصر . لأنه من الخطر البيِّن أن يقاس اعمال رجال الماضى بمقاييس الحاضر وأن تعاير تصرفاتهم بنفس معايير اليوم . فالمفاهيم تتطور ، وما كان مقبولاً فى عصره قد يكون مرفوضاً فى عصر آخر . لذلك فلكى يكون الدارس منصفاً فى استنتاجاته عن تلك العصور السابقة لابد أن يحاول العيش فى الماضى البعيد بعقلية ابناءه ومنطقهم . من هنا تأتى صعوبة

الدراسة التى تحتاج الى معونة والهام من الروح القدس حتى تكون الدراسة سبب بركة وفائدة لكثيرين .

٤ ــ المؤرخ الكنسى : إن المؤرخ الكنسى مهما يكن على درجة علمية أو كهنوتية إن لم تؤازره المعونة الإلهية ويستمد أقواله بارشاد الروح القدس فانه سينحرف إلى ضلالات كثيرة تحت تأثير زهو التعابير والخيال الفلسفى . لذلك فإن كتابة التاريخ الكنسى هى مسؤلية عظيمة تقع على عاتق المؤرخ ، فعليه أن يقدم الحوادث التاريخية بكل امانة ودقة ووضوح .

وأن توخى الدقة وامانة النقل وعمق البحث بروح افراز واعية هى اساس فى كتابة التاريخ من الدرجة الأولى . فمن يقرأ تقرير الدكتور بورنج (الذى وفد إلى مصر عام ١٨٣٧م) الذى قدمه إلى الحكومة الإنجليزية : أن البطريرك يكون دائما فى دير القديس انطونيوس بالصحراء واغلب اساقفة الاقباط كان تعليمهم فى اديرتهم ، حيث يوجد نحو مائتين من الرهبان[1] ... وقد ذكر هذا الرأى ، المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين عند حديثه عن اختيار البطريرك ، أنه يختار دائما من رهبان دير انطونيوس الواقع فى صحراء مصر الشرقية بالقرب من البحر الأحمر[2] .

ولكن الحق هو أن البطريرك يختار من بين رهبان اى دير من اديرة الاقباط الارثوذكس . والذى حدا بالدكتور بورنج إلى أن يكتب هذا فى تقريره ، أو ادوارد وليم لين فى كتابه المذكور ، هو أن البطريرك المعاصر فى ذلك الوقت

(١) محمد فؤاد شكرى : بناء دولة مصر محمد على ــ سنة ١٩٤٨م صفحة ٣٨٨

(٢) E.W.Lane : The manere and Customs... London 1954, P.588

هو الانبا بطرس الجاولى الذى كان من رهبان دير القديس العظيم الانبا انطونيوس ، بل والبطاركة الذين سبقوه كانوا من هذا الدير .

[راجع كتاب المجتمع القبطى فى مصر (القرن ١٩) للدكتور / رياض سوريال ــ ١٩٧٠م ــ صفحة ١١]

حيث ان عدد البطاركة من عام ١٦١٩م حتى البابا بطرس الجاولى ، كان ١١ بطريركا ، منهم ٩ من دير الانبا انطونيوس .

لذلك على المؤرخ أن يتأكد من صحة المعلومات التى توفرت بين يديه لعلها تكون مستنتجة لدى الاطراف التى قامت بالبحث فى تلك المعلومات اثناء فترة تاريخية معينة واصبح هذا الاستنتاج قاعدة عامة بالرغم انه قاعدة خاصة لتلك الحقبة التاريخية فقط .

كما أن المعرفة الصحيحة للتاريخ يجب أن لا تقع فى خطأ مؤداه استخدام نظرية الاستقراء والاستنتاج فى التنبؤ عن المستقبل الذى لا يراه الانسان ، بل تساعد على التصرف فى المستقبل بحكمة اكثر . لأن الإنسان الذى يتمتع بالمعرفة الدقيقة لما حدث فى الماضى يكون اكثر اقترابا من الفهم الكامل للطبيعة البشرية ، ومن ثم يكون قادراً أن يتصرف بحكمة وثقة نابعتين من معرفة حقيقية ... فكم تكون بالحرى هذه المعرفة عند امتزاجها بنعمة الروح القدس !

ولا يخفى ، أن التاريخ كتبه بشر ونقله بشر عبر الاجيال ، وغير موحى به من الروح القدس كالكتاب المقدس . لذلك فهو غير معصوم من الخطأ .

لذلك نشيد باخوتنا وابنائنا الاحباء ، بتوخى الدقة عند الكتابة فى التاريخ أو التأليف أو الترجمة . لأن ما اكثر حشو المعلومات الزوان داخل المعلومات

الحنطة ... لذلك يتطلب الأمر بأن يرفعوا الصلوات والطلبات كى يمنحهم الرب المعونة والحكمة ...

واخيراً نطلب من الرب أن تكون هذه السيرة للأب القديس البابا ثيؤفيلس ، سبب بركة لكثيرين .

دير المحرق

٢١ طوبة ١٧٠٦ ش
٢٩ يناير ١٩٩٠ م
تذكار نياحة السيدة العذراء

سياسة الامبراطورية الرومانية تجاه الكنيسة ومكانة الكرسى الاسكندرى

مكانة الكرسى الإسكندرى

استمر مركز مدينة الإسكندرية قوياً ــ حيث تعتبر فى ذلك الوقت أعظم مدينة فى الشرق ــ إلى أن نهضت القسطنطينية وأصبح لها شأن . وكان للقطر المصرى بالذات مركز خاص فى نظر الأقطار الوثنية للإمبراطورية الرومانية ، إذ كان يعتبر مهد غوامض الدين ومستقر أسراره ، وكانت الإسكندرية من هذه الوجهة الصرح المقدس فى كل بلاد مصر لاحتوائها معبد « سرابيس » . أما بالنسبة للمسيحيين فقد كان كرسى الإسكندرية وقتئذ هو الذى يتطلع إليه كأسمى مركز للكنيسة فى المعمورة ، ولكنيسة الإسكندرية المركز الأعظم الوحيد للعلوم المسيحية وكان عرش البطريركية القبطية يعتبر كما هو معتبر اليوم ــ « العرش الرسولى » أو « الكرسى المرقسى » نسبة الى مؤسسه القديس مرقس الإنجيلى . وكان يدعى الجالس على هذا العرش الرسولى بلقب « أبى الآباء » ولم يكن يُكنَّى فى ذلك العصر بهذه الكنية غيره من الآباء الرسوليين .

ولا بأس من الإشارة هنا ــ جلاءً لهذه النقطة الى أن بطريرك الإسكندرية كان يلقب بالأنبا أى الأب إلى الزمن الذى بدأ فيه رسامة أساقفة لإزدياد الرعية واحتياجها إلى رعاة كثيرين (وكان ذلك فى أوائل القرن الثالث) ، فأطلق على

كل منهم لقب « الأنبا » وسمى البطريرك نفسه منذ ذلك الحين « بالبابا » المأخوذه من لقب « أبى الاباء » ولم يكن لمجمع نيقية من يُعرف « بالبابا » غير بطريرك الإسكندرية اعزازاً له وإعلاءً لمنزلته . [**باختصار نقلاً عن ستانلى صفحة ١٢٩ ــ عن مجلة الكرمة سنة ٩**] وأصبح البطريرك الإسكندرى بعد مجمع نيقية « قاضى المسيحية فى كل العالم » تطاع أحكامه فى جميع أنحاء المعمورة المسيحية فى كل الأمور العالمية (الدينية والدنيوية) وبلغ نفوذه إلى أمور الكنيسة الغربية حتى قال غريغوريوس النزينزى « إن رأس كنيسة الإسكندرية هو رأس العالم » .

أما فى دائرة نفوذه مباشرة ، فبعد أن كانت سلطته شيئاً محدوداً فيما سلف من الزمان أصبحت فى أيام البابا أثناسيوس أبعد مدى وأوسع نطاقاً وبقيت كل أسقفية تابعة لمصر ــ خاضعة للبطريرك الإسكندرى خضوعاً لم تبلغه أية سلطة كنسية أخرى فى الغرب .

وبالرغم من أن مدينة القسطنطينية أصبح لها شأن فى الإمبراطورية الرومانية ولقبّت برومية الثانية أو رومية الجديدة واعتبر الكرسى القسطنطينى يلى كرسى رومية (فى مجمع القسطنطينية الثانى ٣٨١م) إلا إن الكرسى الإسكندرى بقى محتفظاً بصدارته حتى القرن الخامس الى زمن الانشقاق الكبير الذى لاقت من بعده كنيسة الإسكندرية الاضطهاد والمذلّة أكثر مما لاقته من أباطرة الرومان الوثنيين . (والمعروف أسبابه وملابساته التى يطول شرحها ...) .

سياسة الإمبراطورية الرومانية تجاه الكنيسة :

عاش المسيحيون مدة حكم الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير (٣٧٩ ــ ٣٩٥م) فى سلام تام . وقام هذا الإمبراطور العظيم وقتئذ بتشييد العمارات الفخمة فى ضواحى أنطاكيه ، وأقام أسوار حول الميادين والساحات العامة

ويقول عنه المؤرخ يوحنا أسقف نيقيوس إنه قضى حياته المقدسة بكل تقوى وعفاف ، ويصفه بالإمبراطور المحب لله .

H.Zotenberg, chap. LXXXIII, LXXXIV

وقد مدحه المؤرخ ثيؤدوريت Theodoret وبيّن كيف كانت العناية الإلهية تؤازر هذا الإمبراطور فى حروبه بصورة مدهشة (Chap. XXIV) .

وكان يثق فى البابا ثيؤفيلس ويجلهُ ، فطلب منه تصحيح الخطأ الذى حدث فى ميعاد عيد الفصح (كما ذكر صفحة ٦٦) ثم جاء من بعده ابناه (اركاديوس وهونوريوس) وخلفاه فى حكم الشرق والغرب وأصدرا مزيداً من القوانين ضد الوثنية بتدمير كل المعابد والهياكل الوثنية للآلهة اليونانية والرومانية القديمة ولم يعد مسموحاً بحرية العبادة الوثنية فى الإمبراطورية الرومانية .

« وصارت المسيحية هى الديانة الشرعية الوحيدة فى الأمبراطورية منذ ذلك الحين وهكذا تمتعت الكنيسة وحدها بالامتيازات المادية والمعنوية وهى الامتيازات التى كان قسطنطين قد أسبغها على الإكليروس لكى يضعهم على قدم المساواة مع الكهنة الوثنيين .

ومن الإنعامات الجديدة التى تلقتها الكنيسة من الأباطرة أواخر القرن الرابع ، الاعفاءات المالية للكنيسة وسماح الأباطرة لملتزمى الضرائب فى المدن بترك وظيفتهم ، وإعفاؤهم من كل الالتزامات الضريبية المفروضة عليهم .

وأضيفت الى الامتيازات المالية التى تمتع بها رجال الكنيسة امتيازات قضائية فقد سمح بأن يكون للكنيسة محاكمها الخاصة وبأن يُطوَّر قانونها الخاص وهو القانون الكنسى . واستطاع الأساقفة بطريق غير مباشر أن يخففوا من الأحكام

التى أصدرتها المحاكم العادية فى الإمبراطورية ، لدرجة أن تخلت الدولة الرومانية تماماً عن سلطتها القضائية على الكنيسة المسيحية .

وهكذا جعل الأباطرة الرومان — (ثيؤدوسيوس الأول على وجه الخصوص) — المسيحيين فى القرن الرابع ، من الكنيسة كياناً مستقلاً تمام الاستقلال عن سلطان الدولة الرومانية القضائى .

ومع بداية القرن الخامس كان الأباطرة الرومان المسيحيون فى الغرب قد حرَّروا الكنيسة من تفككها المذهبى ، وسحقوا أعداءها الوثنيين ، ومنحوها الامتيازات الواسعة ... [كتاب التاريخ الوسيط « نورمان ف كانتور » ترجمة د . قاسم عبده قاسم ص ٨١ — ٨٣]

نتيجـــة حتميـــة

فكان لهذه الامتيازات الجديدة التى منحتها الدولة للكنيسة الأثر الملحوظ فى إبراز مكانة الكرسى الإسكندرى فى الإمبراطورية الرومانية عموماً وفى إقليم مصر خصوصاً ، وأصبح بابا الإسكندرية فى ذلك الحين مهيمناً على الأحوال المدنية والأمور الكنسية على السواء ... حيث يتجلى ذلك فى عهد البابا ثيؤفيلس والبابا كيرلس عمود الدين . إلا إن تلك الامتيازات العظيمة التى منحت للكنيسة (جمعاء) وذلك السلام الذى حل على ربوع الإمبراطورية الرومانية كان لهما رد فعل طبيعى ، وهو :

١ — ظهور حالة من الرخاء والرفاهية والترف بصورة جعلت القديس يوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية (٣٩٨ — ٤٠٧م) يدينها ويستنكرها ، مما أدى إلى قيام الحاقدين عليه ونفيه خارج البلاد .

٢ ـــ تزايد هائل فى عدد المقبلين على حياة النسك الرهبانى فى صحارى مصر وقفارها من المصريين والأجانب حياً فى الملك المسيح .

إلا إن توافد العنصر الأجنبى أدى إلى ظهور مشاكل عكَّرت صفو الحياة الرهبانية فى نتريا [**كما سيرد ذكره فيما بعد**] .

أيقونة بكنيسة الشهيد مارجرجس بالدير

البابا ثيؤفيلس

الأســم « ثيؤفيلس » ⲑⲉⲟⲫⲓⲗⲟⲥ

الأسم يونانى الأصل مكتوباً بحروف قبطية [كما هو الحال فى الكلمات المستعارة من اللغة اليونانية والمستخدمة فى النصوص القبطية] والاسم ثيؤفيلس ينقسم إلى مقطعين :

+ المقطع الأول : يكتب فى عدة صور

ⲑⲉⲟⲥ . ⲑⲉⲟⲩ . ⲑⲉⲱ . ⲑⲉⲟ

وتعنى : الله ــ أو إله العزة ــ أو خالق الكل .

وترادف ⲛⲟⲩⲧ فى القبطية

+ والمقطع الثانى : يكتب ⲫⲓⲗⲟ . ⲫⲓⲗⲟⲥ

وتعنى : محب

ويمكن تبديل المقطعين هكذا

محب الله ⲫⲓⲗⲟⲑⲉⲟⲥ

محبوب الله (أو محبة الله) ⲑⲉⲟⲫⲓⲗⲟⲥ

وكتبها البعض هكذا ⲑⲉⲟⲫⲓⲗⲉ

ويكتب باللغة العربية كما هو وارد فى المخطوطات والمراجع بصور مختلفه أهمها الآتى :

تاوفيلس	تاوفيلا	توافيلوس	توافيلس
تااوفيلس	تاؤفيلس	ثيوفيلس	ثيوفيلوس
ثوفيلس	ثيؤفيلس		

وقد استخدم هنا النطق السائد حالياً عند اليونان والأقباط وهو : ثيؤفيلس .

نشأته وحياته الأولى :

[تم مراجعة كل ما قيل تقريباً عن نشأة البابا ثيؤفيلس فى الكتب والمجلات الدينية وكان أهم مصدر هو كتاب يوحنا أسقف نيقيوس حيث إنه من المصادر التى يعتمد عليها الباحثون لدقته]

(H.Zotenberg; Chronique de Jean, Eveque de Nikiou, Paris 1883.

[كانت نيقيوس بالوجه البحرى ـــ ومن المحتمل أن مدينة نيقيوس كانت فى المنطقة الأثرية التى تقع شمال زاوية رزين حاليا بمركز المنوفية ـــ ومن أساقفتها الأنبا صرابامون الشهيد وهى غير نيقية التى بقرب سواحل جبال الألب التى اجتمع فيها المجمع المسكونى الأول ٣٢٥م]

يقول المؤرخ القبطى يوحنا أسقف نيقيوس :

ولد القديس ثيؤفيلس من والدين مسيحيين فى مدينة ممفيس العاصمة الفرعونية التى كانت تدعى أيضاً فيما مضى (أركاديا) وانتقل أبواه إلى السماء وتركاه طفلاً يتيماً وعاش مع أخته الصغيرة فى حضانة جاريه كانت لأبويه (حبشية الجنس) وفى ذات ليلة وقت السحر قادت الجارية الطفلين الى هيكل أرطاميس وأبولون الآلهة الكاذبة لكى تصلى حسب طقس الوثنيين ، فلما دخل

الطفلان الهيكل سقطت الأصنام على الأرض وتهشمت . فهربت الجارية بالطفلين الى مدينة نيقيوس خوفاً من انتقام كهنة الأصنام ، ولكنها لم تكن مطمئنة هناك أيضاً لأنها خشيت أن يسلمهم أهلها إلى كهنة الأوثان فانطلقت بالطفلين إلى الأسكندرية مدفوعة بإلهام إلهى قادها الى الكنيسة . [وهى كنيسة القديس ثاؤنا ــ وسميت باسم السيدة العذراء] لتعرف بالتحقيق عبادة المسيحيين المقدسة . فكشف الله فى الحال للقديس أثناسيوس بطريرك الإسكندرية حقيقة هذين الطفلين بمجرد دخولهما ، وعرف المكان الذى وقفا فيه بجانب المنبر . وأمر القديس أثناسيوس أن يحافظوا على هؤلاء الثلاثة إلى انتهاء القداس ، وبعد ذلك قدموا الطفلين وجاريتهما (إلى القديس أثناسيوس) فسأل الجارية متكلماً هكذا : « لماذا تصرفت هكذا ؟! ولماذا لم تساعدك الأصنام الجامدة ؟ فإنها بالعكس سقطت على الأرض وتحطمت بمجرد رؤيتها أولاد البيعة المقدسة وإن هذين الطفلين أصبحا من الآن ملكاً لى » فذهلت الجارية من كلام القديس أثناسيوس وعلمت أنه كشف بوحى من الله سر كل ما حدث فى الهيكل فاضطرت أن تصرّح له بكل ما جرى وانطرحت عند قدميه وطلبت اليه أن يصبغها بمعمودية الدين المسيحى فعمدهم وحل عليهم نور النعمة وأصبحوا مسيحيين .

أما البنت الصغيرة فأودعها بدير للعذارى ولبثت فيه إلى أن آن وقت زواجها فتزوجت رجلاً من أهالى مدينة المحلة بشمال مصر (قيل انها كانت تدعى أحياناً « ديدوسيا » وهناك أنجبت القديس كيرلس الكوكب الساطع الذى أنار المسكونة بصادق تعاليمه . وقد شمله الروح القدس باختياره بطريركاً بعد خاله القديس ثيؤفيلس .

أما القديس ثيؤفيلس بعد أن اصطبغ بصبغة المعمودية المقدسة ، قص شعر رأسه وهو بعد صبى وضُم الى فرقة القراء ثم سيم أناغنوسطيس وتربى بكل

عناية تربية القديسين فترعرع ونشأ حسب إرادة الله وتعلم كل كتب البيعة الموحى بها من الله ووعىَ نظمها وحافظ على نواهيها ثم رُفع الى مصاف الشمامسة وكان يتقد غيرة وحماساً لديانة ربنا يسوع المسيح بكل طهارة وبكل قداسة « متأدباً على يد القديس أثناسيوس بكل أدب نفسانى وروحانى » [سيـــر البطاركة للأنبا يوساب أسقف فوه] . وصيَّره كاتباً له

[كاتب البطريرك كان فى ذلك الوقت فى درجة مثل درجة السكرتير الخاص فى أيامنا هذه ، وقد ترجمها B.Evetts إلى الكلمة الإنجليزية Secretary وكان يعتبر كاتماً لأسرار البطريرك وكان يلازمه دائماً فى قلايته (تاريخ البطاركة للأنبا ساويرس بن المقفع صفحة 425 طبعة B.Evetts ، وصفحة 75 طبعة C.F.Seybold وكتاب التاريخ للمكين بن العميد ــ الفصل ١٥٢)]

واخيراً لبس حلة العظمة الكهنوتية .

رسامته بطريركاً :

بعد أن تنيح القديس أثناسيوس الرسولى عام ٣٧٣م البطريرك العشرون من بطاركة الإسكندرية وخلفه البابا بطرس (٢١) ثم البابا تيموثاؤس (٢٢) الذى تنيح عام ٣٨٥م . اجتمع الأساقفة والشعب وساموا الأنبا ثيؤفيلس بطريركاً ، فى السنة السادسة من حكم ثيؤدوسيوس قيصر فى شهر مسرى سنة ١٠١ للشهداء الأطهار عام ٣٨٥م .

وقد ملأ المدينة كلها بأنوار إيمانه المقدس المشتعل .

[ورد نصها فى كتاب H.Zotenberg chap. LXXIX كالاتى : Et, lorsqui'l fut patriarche, il illuminait toute la ville du flambeau de sa sainte foi...]

آيـات وعجائـب :

وصنع الرب الإله فى عهده عجائب وآيات عديدة [تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع صفحة 420 طبعة B.Evetts صفحة 76 طبعة C.F.Seybold] .

[تم حصر كل ما وصل الى أيدينا من معجزات وأعمال مجيدة حدثت فى عهد البابا ثيؤفيلس والتى ذكرت فى مصادر ومراجع مختلفة فتم تصنيفها ووضعها تحت العناوين والمواضيع المناسبة لها]

لكن لم يعرف منها إلا القليل .

فقد كان البابا ثيؤفيلس إذا عمّد يرى قضيباً من نور يُصَلِّب على المعمودية بين يديه .

[وحدث فى أحد السنين أنه وقف فى أسبوع التناصير ليصلى على المعمودية فلم يظهر عليها صليب النور فحزن فأوحى إليه إنه إن لم يحضر أرسانيوس الشماس ويصلى معه فلن يظهر له شيء . فصرف الناس فى ذلك اليوم وأرسل فى طلبه فوجده فى أشمون فأتاه مسرعاً ففرح به وطيبَّ نفسه فظهر صليب النور ولما رأى البابا البطريرك تواضع الشماس المذكور وفعله أراد أن يصيره قساً فلم يقبل وسأله أن يعفيه من ذلك وأن يصلى عليه ويدعه يمضى إلى وطنه ففعل له ما التمسه . (ساويرس بن المقفع ص B.Evetts427 ص C.F.Seybold75 والأنبا يوساب أسقف فوه)]

✲ آيـــة **عظيمـــة** كان فى مدينة الإسكندرية رجل يهودى اسمه فيلكسينوس . وكان غنياً جداً وخائفاً من الله وعاملاً بشريعة موسى على قدر طاقته . وكان فى المدينة فقيران مسيحيان . فوسوس الشيطان لأحدهما حتى جعله يجدف قائلاً : لمَ نعبد المسيح ونحن فقراء وهذا اليهودى فيلكسينوس غنى جداً ؟! فأجابه الثانى قائلاً : مال الدنيا ليس له عند الله قدر . ولو كان له قدر لما كان أعطاه لعابدى الأوثان والزناة واللصوص ثم القتلة . والأنبياء كانوا فقراء مضطهدين وهكذا الرسل أيضاً . والرب يقول إخوتى الفقراء (**مت ٢٥ : ٤٠**) . **فلم يتركه عدو الخير يقبل شيئاً من قول رفيقه بل حركه الى أن قام وأتى الى فيلكسينوس وسأله أن يقبله فى خدمته . فقال له : لا يحل لى أن يعاشرنى إلا من كان من أهل ملتى . فإن كنت تريد صدقة أعطيتك . فأجابه ذلك المسكين قائلاً : خذنى عندك وأنا أدخل فى دينك وأعمل جميع ما تأمرنى به . فأخذه الى مجمعهم . فسأله الرئيس أمام جماعة**

اليهود قائلاً : أحقاً تجحد مسيحك وتصير يهودياً مثلنا ؟ فقال : نعم . وهكذا جحد المخدوع المسيح الإله أمام جماعة اليهود . وأضاف إلى فقره إلى المال فقره إلى الايمان . فأمر الرئيس أن يعمل له صليب من خشب ودفعوا له قصبة عليها أسفنجة مملوءة خلاً ثم حربة وقالوا : ابصق على هذا الصليب وقدم له الخل واطعنه بالحربة وقل : طعنتك أيها المسيح ففعل كل ما أمروه به . وعندما طعن بيده الآثمة الصليب المجيد جرى منه دم وماء إلى أن نزل على الأرض ثم سقط هذا الجاحد ميتاً يابساً كأنه حجر . فاستولى الخوف على الحاضرين وآمن كثيرون منهم وصاحوا قائلين : واحد هو إله المسيحيين ، ونحن مؤمنون . ثم أخذوا من الدم ومسحوا به عيونهم ووجوههم ، وأخذ أيضاً منه فيلكسينوس ورش على ابنة له ولدت عمياء فأبصرت للوقت ، فآمن هو وأهل بيته وكثيرون آخرون من اليهود . وبعد ذلك أعلموا البابا ثيؤفيلس بذلك ، فأخذ معه الأب كيرلس وجماعة من الكهنة والشعب وأتى الى مجمع اليهود وأبصر الصليب والدم والماء فأخذ منه وتبارك وبارك الشعب أيضاً . ثم كشط الدم الذى نزل على الأرض ووضعه فى إناء للبركة منه وأمر بحمل الصليب الى الكنيسة . وبعد أن أخذ إقرار الحاضرين بالإيمان وعمدهم باسم الآب والابن والروح القدس وباركهم مضوا الى منازلهم شاكرين السيد المسيح وممجدين أسمه القدوس له المجد دائماً . أمين .

[السنكسار الجزء الثانى طبعة سنة ١٩٣٦ تحت اليوم الرابع عشر من شهر مسرى المبارك ص ٢٦٤ ــ ٢٦٦]

❁ فى عظة قالها البابا ثيؤفيلس فى تذكار صعود جسد السيدة العذراء ١٦ **مسرى** ذكر إنه بينما كان الشعب حاضراً يصلى صلاة القداس الإلهى ، دخل رجل يهودى إلى وسط الكنيسة وأخذ عدداً من الحاضرين فى الكنيسة حتى اصبحت شبه خاوية وجاء بهم إلى الرؤساء الحكام لكى يأخذ تصريح بأن يعمل هؤلاء عنده بدون أجر .

وفى تلك اللحظه ألقى البابا بنفسه أمام المذبح وبكى لما حدث ، فظهر له ملاك الرب من جهة شرق المذبح وأعلمه أنه يجب أن يذهب إلى مقر البطريركية بعد إنتهاء القداس مباشرة .. فنفذ البابا الأمر وذهب إلى مقر البطريركية كما قيل له .

وفى نفس الوقت ، كان يوجد محل تجارى إلى الجنوب من المدينة لرجل مسيحى ، إستاجره من ذلك الرجل اليهودى . فإذا بهذا اليهودى يعرض مقابل ذلك مالاً على المسيحى ثم طرده من المحل فحمل المسيحى بسرعة بضائعه وأخذ أطفاله ورحل ولم يكن يعرف إلى أين يذهب ، وبسبب قلقه وانزعاجه نسى لوحاً من الخشب صغيراً ثميناً جداً ، مرسوماً عليه أيقونة للسيدة العذراء وكانت موضوعة أعلى الحائط داخل المتجر .

وعندما أحضر اليهودى عمالاً لتنظيف المتجر ، أخذ العمال الأيقونة وقبّلوها واحتضنوها بفرح ، ولكن اليهودى جاءهم بغضب عظيم قائلاً لهم بتهديد : ما هذا الذى تقبلونه وتحترمونه إلى هذه الدرجة ؟ فأجابوه : هذه أيقونة القديسة مريم أم الملك الحق يسوع المسيح ربنا الذى صلب عنا وقام من بين الأموات فى اليوم الثالث وظهر لتلاميذه على جبل الزيتون . فلما سمع اليهودى هذا الكلام توقد غضبه وأمسك اللوح الخشبى فى يده ورماه بقسوة وكسّره إلى قطع صغيرة ورماه فى سلة مملوءة بالرماد وجعل واحداً من العمال يحمل السلة ويلقى ما بها فى الماء (البحر) إلا إنه عندما حمل العامل السلة ، فاض منها دم بلا توقف حتى ابتل جسم العامل منه ، فانزهل كل من رآه ... ولكن سرعان ما قبض عليه واتُهم بأنه ذبح رجلاً وصدر أمر بتعذيبه ، فبكى العامل وصرّح بالحقيقة فأخذوه إلى البابا وكان يوجد معه أساقفة آخرون ، فأخرج البابا الصورة من السلة ووجد ملامحها حزينة تبكى دموعاً من دم . فحملها البابا إلى الكنيسة حيث كان الاحتفال بعيد العذراء وكانت جموع من الناس مجتمعه بالكنيسة

فأخذ كمية من الماء وقليلاً من الزيت الطيب الرائحة وغسل الأيقونه ثم جمّع أجزاءها على مقصورة بالحائط وحدثت فيها عجائب للمرضى والمصابين بالأرواح النجسة فكان عيداً عظيماً مشهوداً له .

وبعد ذلك أرسل البابا إلى ذلك الرجل اليهودى وأحضره إلى الكنيسه وبكّته تبكيتاً روحياً حتى تحركت فى داخله مشاعر التوبة وأضىء عقله وتفتح ذهنه المغلق وفى اليوم التالى تقدم اليهودى إلى البابا وطلب منه أن يصير مسيحياً ... فعمده البابا هو وأهل بيته وتقدّم للأسرار المقدسة .. وبعد ثلاثة أيام انتقل إلى أحضان القديسين .

واهتم البابا بعد ذلك بالمتجر الذى كان فيه هذه الأيقونه وحوّله إلى بيتٍ لإقامة الغرباء ... ولربنا المجد إلى الأبد أمين .

✲ كان لإمرأة — من أتباع مانى الهرطوقى — إبنة صغيرة تبلغ من العمر ٩ أو ١٠ سنوات .. وتلبسها أفخر الملابس وترسلها إلى كنيسة المسيحيين وتوصيها بأن لا تخرج من الكنيسة قبل انتهائها وأن ما تأخذه لا تأكله بل تحضره معها إلى البيت ، وكانت الفتاة تفعل ذلك وتحضر الذخيرة معها الى البيت وتأخذها الأم وتضعها فى ذلعة من الذهب .

[كان المتاول يستلم الذبيحة بيده ثم يتناولها ولكن لأسباب عديده تشابه هذه الحادثه أمرت المجامع بعد ذلك برفض هذا الأسلوب وأن يتم تناول الذبيحة من يد الكاهن مباشرة إلى فم المتقدم للتناول]

إلا إن الفتاة قصّرت فى إيفاء طلب أمها فعاقبتها أمها كثيراً بالضرب ، فسمع أستاذ الفتاة والذى كان يدرّسها فى المدرسة صوت الضرب لأنه كان يسكن بالقرب منهم .

وفى ذات مرة وهو يجلس مع الفتاة يدرّسها استفسر منها عن سبب تلك

الضربات فأوضحت له السبب . فلم يتوان الرجل بأن يذهب ليخبر البابا ثيوفيلس بما حدث .

فأرسل البابا بعضاً من رجال الإكليروس والحرس واستدعى المرأة وابنتها خفية ... وبعدما وبخها اعترفت له وأخبرته بأنها تحفظ الذخائر فى بيتها .. فأرسل البابا كهنة وشمامسة وجماعة من المؤمنين الى بيت المرأة ... وعندما اقتربوا الى مكان الذلعة ، رأوا بريقاً عظيماً من نار .... فأخذوها بخوف عظيم وقدموها للبابا الذى بدوره فتحها فوجدوا الذخيرة المقدسة وبها جروح تخرج منها رائحة طيبة .... حينئذ سجدت المرأة وطلبت المغفرة ، فأعطاها البابا صياماً ٤٠يوماً ، وعلَّمها ثم عمدها هى وابنتها وقدمهما للأسرار المقدسة .

ووهبت المرأة بعد ذلك كل ما تمتلكه للفقراء ، وجعلت بيتها الكبير كنيسة ، وصارت راهبة وأقامت فى بيت للعذارى فى مدينة الإسكندرية .

هدم المعابد الوثنية فى الامبراطورية الرومانية وبناء الكنائس

مقدمـــة :

سجل سوزومينوس وسقراطس وثيؤدوريت المؤرخون الكنسيون فى القرن الرابع والخامس تلك الحوادث الخاصة بهدم المعابد وبناء الكنائس

Sozomenus: The Eccles. Hist., Book VII chap. XV

Socrates Scholasticus: The Eccles. Hist., Book V, chap. XVI, XVII

Theodoret: The Eccles. Hist., Book V, chap. XX, XXI, XXII

(وسنسرد بالكامل هذه الحوادث مع إعادة ترتيبها قليلاً ، بدون الإخلال بالنص) .

يقول ثيؤدوريت عن عصر الإمبراطور قسطنطين :

« والآن حوَّل الإمبراطور الحقيقى المؤمن جهوده لمقاومة الوثنية وأصدر مراسيم أمر فيها بتحطيم معابد الأوثان . حقاً كان قسطنطين الكبير ـــ المستحق كل تطويب ـــ أول من أنعم على امبراطوريته بالديانة الحقيقية ، فإنه لما رأى العالم كله مكرساً للحماقة (الوثنية) أصدر تحريماً عاماً ضد تقديم الذبائح للأوثان ... ثم أمر بعد ذلك بغلق المعابد لكنه لم يحطمها . وقد تبع الأبناء

خطوات أبيهم . أما جوليان فقد أعاد الإيمان المزيف وعاد ليضرم لهيب التزييف القديم . وفى مناسبة خاصة بالإله جوف (on the Accession of Jovian)أصدر حرماً على عبادة الأوثان مرة أخرى . كما إن الإمبراطور فالنتنيان الكبير حكم أوروبا مصدراً قوانين مماثلة . أما فالنس فقد سمح لكل شخص بأن يعبد كما يريد ، وأن تكرّم وتحترم العبادات المختلفة (معابد ـــ هياكل ـــ تماثيل) لكنه أصر رغم ذلك على شن الحرب ضد المدافعين عن العقائد الرسولية وحدهم وتبعاً لذلك فقد أوقدت نار المذبح ثانية طوال فترة حكمه وذلك بتقديم النذور والتضحيات للأوثان . وعاد الإحتفال بالأعياد فى الساحة العامة بالمدينة (Forum) واحتفل ... بالطقوس العربيدة للإله دايونيسيوس ... وللإله باخوس والتى فيها كانوا يتصرفون عموماً بصورة تُظْهِر نقص سيدهم وعدم كماله .

وعندما وجد ثيؤدوسيوس (وهو المؤمن البار) كل هذه الشرور مد يده واقتلعها من جذورها وطوى صفحتها . حيث أصدر قراراً إفتتحه بكلمة Popuios - conetos (إلى جميع الشعوب) ووجهه الى كل المملكة مبيناً رغبته فى أن جميع الشعوب تتمسك بالإيمان المسيحى [تاريخ سوريه جـ ٤ صـ ١١٩ ـــ ١٢٢] « حيث كان يوجد كثير من الوثنيين المتحمسين والمشايعين للأوثان ومعابدها فى كثير من المدن مثل سكان بترا وأريو بوليس (فى العربية) ومثل رافى وغزة فى فلسطين وهريوبوليس فى فينيقيةوأباميا على نهر أكسيوس فى سورية .

وكان سكان مدينة أباميا Apamea يمدون سكان الجليل وفلاحى لبنان بالسلاح للدفاع عن معابدهم بجرأة وصلت الى حد قتل مارسيللوس Marcellus اسقف أباميا »

[نص الحديث حسب ما ذكره سوزومينوس والذى سيرمز إليه بعد ذلك برقم (١)]

مارسيللوس أسقف أباميا ومعابد التماثيل التى دمرها :

« كان الأسقف مارسيللوس من أول الأساقفة الذين نفذوا أمر الحرم ، فدمّر المعابد فى المدينة ، بعد أن وضع ثقته فى الله لا فى أيدى الجماهير . وما جرى بعد ذلك يستحق الملاحظة .

وسأبدأ فى سرد تفاصيله (الحديث هنا لثيؤدوريت) :

بعد موت جون أسقف أباميا ... عُيّن مارسيللوس الحار بالروح مكانه (طبقا لقوانين الرسل) وتصادف أن وصل إلى أباميا نائب الشرق .

[Valesius فاليـــوس يشير إن هذا كان سيناجيوس Cynegius نائب الشرق الإمبراطورى Perfect of the East الذى أرسله ثيؤدوسيوس الإمبراطور لكى ينفذ أمر غلق معابد الأوثان]

واثنان من التريبيون (المدافعين عن حقوق الشعب) مع قواتهم العسكرية ، وعند وصولهم بقى الشعب هادئاً خوفاً من الجند . ولكن بذلت محاولة لتحطيم هيكل جوبتر الفخم الواسع الارجاء .. ولكن المبنى كان ثابتاً وطيد البناء حتى إن تحطيم أحجاره المتينة المتلاصقة كان يبدو فى غير متناول الإنسان لأن هذه الأحجار كانت ضخمة شديدة الرسوخ فضلاً عن أنها كانت مشدودة بإحكام بالحديد والرصاص .

وعندما رأى مارسيللوس القديس **Divine Marcellus** أن نائب الشرق خائف أن يبدأ بالهجوم ـــ فأرسله مارسيللوس الى بقية المدن بينما صلّى هو إلى الله طالباً المساعدة فى عملية التدمير . وفى صباح اليوم التالى وصل إلى الأسقف بدون دعوة رجل لم يكن بناءً أو مهندساً أو فنياً على الإطلاق بل كان عاملاً يحمل الأحجار والأحطاب على ظهره ، وقال للأسقف أعطنى أجرة عاملين وأنا أعدك أن أدمر المعبد ، فأعطاه الأسقف ما أراد وهذا ما ابتكره

هذا الرجل . كانت حول المعبد شرفة تحيط به من جهاته الأربعه ـــ وكان الدور العلوى من المعبد يقوم على هذه الشرفه وكانت الأعمدة فخمه كل منها محيطه ستة عشر ذراعاً ـــ أما الأحجار فكانت من نوع شديد الصلابة . تقاوم كل أدوات العمال . فقام الرجل بعمل فتحه حول كل عامود ، كما سند الأجزاء العليا من المبنى بأخشاب الزيتون قبل أن ينتقل إلى العامود الآخر وبعد أن جوَّف ثلاثة من الأعمده أشعل النار فى الأخشاب . ولكن شيطاناً أسود اللون ظهر وبدأ يقاوم إشتعال النار فى الخشب ، ولما تكررت المحاولة عدة مرات وصلت الأخبار إلى الأسقف الذى أسرع إلى الكنيسة وصلى على ماء متوسلاً إلى الله أن يتدخل ويظهر قوته ومقدرته ثم أمر أكويتيوس **Equitius** أحد الشمامسة أن يأخذ الماء ويرشه على الخشب ثم يقرِّب النار ... التى اضرمت الخشب كما لو كان مبتلاً بالزيت وليس بالماء . فلما أكلت النار الخشب إنهارت الأعمدة والمبنى كله بصوت عظيم واجتمع الناس ليروا ماذا حدث ـــ ولما سمعوا بخبر هروب الشيطان بدأوا يسبحون الله .

وقد قام هذا الأسقف القديس بتحطيم معابد أخرى بنفس الطريقه [**نص الحديث لثيؤدوريت**] « إلا إنه فى مرة سمع عن معبد عظيم فأعد العدة مع مجموعة من الجنود والمصارعين ووضع نفسه فى مركز يبعد عن مسرح الصراع بعيداً عن مدى السهام لأنه كان مصاباً بالنقرس وغير قادر على أن يشارك فى القتال ولا أن يتتبع الأعداء ولا أن يهرب عند الخطر . وبينما كان الجنود والمصارعون منهمكين فى اقتحام المعبد اكتشف بعض الوثنيين أن الأسقف متروكاً وحده فأسرعوا إلى مكانه وأخذوه بعيداً عن المعركة وحرقوه حياً ولم يُعْرَف الأشخاص الذين ارتكبوا هذا العمل ولكن بمضى الوقت أمكن التعرف عليهم وصمَّم أبناء مارسيللوس أن ينتقموا لموته . ولكن مجلس المقاطعة منعهم من تنفيذ خطتهم وأعلن إنه ليس من العدالة أن ينتقم أقارب مارسيللوس أو

أصدقاؤه لموته بأيديهم ، بل يجب عليهم بالأحرى أن يرفعوا الشكر لله الذى حسبه مستأهلاً أن يموت شهيداً كما حدث(١) .

ويذكر بلومفيلد Blomfield [المترجم والمعلق على كتاب التاريخ الكنسى لثيؤدوريت] نقلاً عن كتاب Hole Early Missions,24 إنه قبل إنسحاب الجيوش الرومانية من بريطانيا بحوالى عشرين سنة كانت المسيحية قد أتمت انتصارها وحدث بعد ذلك أن أثيرْ سؤال : هل يلقى علم الآثار أى ضوء على هزيمة الوثنية الرومانية فى بريطانيا ؟

والدليل على صحة الإجابة بنعم ، هو حقيقة أن جميع تماثيل الآلهة الوثنية وجدت محطمة تماماً عند اكتشافها . ففى Binchester مثلا (وهى Roman Vinovium) وهى ليست بعيدة عن درهام Durham عثر بين بقايا مبنى رومانى هام قديم على تمثال حجرىٌ للإلهة فلورا محطم الأرجل وملقى على وجهه أرضاً عبر قناة تصريف النفايات وكان يستخدم كدعامة للمبنى فوقه . وبالتأكيد إنه ليس من الحكمة أن تقدم الحقائق الأثرية أكثر من هذا فتماثيل الآلهة المحطمة فى بريطانيا تتفق مع مراسيم ثيؤدوسيوس (التى أمر فيها بتحطيم المعابد) كما تتوافق تماماً مع معبد سيرابيس الذى تحطم فى الإسكندرية .

[N.P-N.F., Sec. ser., vol. III, P.148, Note No.4]

هدم المعابد الوثنية فى الاسكندرية

مقدمـــة :

كانت الديانة الوثنية متأصلة فى أعماق المصريين وكانت معتقداتهم فى عبادة إيزيس وأوزوريس منتشرة فى جميع أنحاء مصر ولما كان بطلميوس الأول يعتقد أن ثروة مصر تتوقف على مساهمة المصريين والإغريق معاً فى العمل على تقدم مرافق البلاد الاقتصادية ، وأن استمرار النفور الدينى الذى كان هيرودوتوس قد لاحظه من قبل لابد من أن يعوق الألفة بين الفريقين فقد رأى إنه من الضرورى أن يؤلف بين قلوبهم بإنشاء ديانة جديدة تكون رابطة واحدة ووئام بين المصريين والإغريق عندما يشتركون جميعاً فى التعبد لآلهتهم وبذلك يدركون أنهم يتعبدون إلى نفس الآلهة ولكن كل فريق منهم كان على النحو الذى يألفه . ولابد من أن بطلميوس كان يدرك أن تحقيق هدفه إنما يتوقف على نجاح الديانة الجديدة لكى تخلف ديانة كل من المصريين والإغريق ، وهذا يفسر ذلك الاهتمام الكبير الذى وجهه هو وسلالته الى الديانة الجديدة . ويحدثنا بلوتارك أن بطلميوس الأول كوّن لجنة من علماء الدين المصريين والإغريق لتنفيذ فكرته وقد استقر رأى اللجنة على أن يكون محور الديانة الجديدة ثالوثاً يتألف من سيرابيس Serapis وزوجته إيزيس وابنهما هاربوكراتس Harpocrates ويتفق الجميع على أن إيزيس وهاربوكراتس كانا إلهين مصريين . أما سيرابيس ، كبير آلهة الثالوث ، فقد تضاربت الآراء حول أصله ، لكن الرأى السائد اليوم أنه كان أصلاً الإله المصرى أوزيريس أبيس إله العالم الآخر فى منف

وإذا كان بطلميوس الأول هو الذى أنشأ عبادة سيرابيس وأخفى الصورة التى قدم فيها هذا الإله لرعايه الإغريق ، فإن الأدلة الأثرية تثبت أن بطلميوس الثالث هو الذى شيد المعبد الكبير الذى دعى باسم السيرابيوم [ذكره سوزومينوس باسم السيرابيون Serapeun وسقراطس باسم السيرابيوم Serapeum ولكن وجدنا أن السائد فى المراجع هو الاسم سيرابيوم] والذى أقيم لهذا الإله فى حى راقودة بالإسكندرية على ذلك التل الذى لايزال قائما حتى اليوم فى حى كرموز . وقد ذاع صيت هذا المعبد بمبانيه الضخمة لما كانت تتضمنه من مكتبة « يقال إنه كان بها ٥٠٠,٠٠٠ مجلد [Cheneau 1,44] وأروقة وأفنية ترتفع بها الأعمدة والتماثيل ويؤدى إليها سلم كبير من مائة درجة ويصفه ثيؤدوريت وسوزومينوس بأنه يتفوق على جميع معابد العالم فى الحجم والجمال .

إزالة المعابد الوثنية فى الإسكندرية عام ٣٩١م

[حسب شهادة دوائر المعارف]

استهل المؤرخ الكنسى ثيؤدوريت تسجيله لحوادث إزالة المعابد الوثنية فى الإسكندرية بمدح البابا ثيؤفيلس قائلاً :

« كان رجلاً مملوءاً حكمة وشجاعة فائقة وبواسطته تحررت الإسكندرية من الأوثان . ولم يكتف بنقض معابد الأوثان إلى الأرض لكنه كشف الخدع التى استخدمها كهنة الأوثان لضحاياهم من الناس .. حيث إنهم أقاموا التماثيل من البرونز والخشب مجوفة من الداخل وثبتوا ظهورها فى حوائط المعابد وتركوا فى هذه الحوائط فتحات غير مرئية . ومن غرفهم السرية كان الكهنة يدخلون إلى داخل التماثيل ويصدرون أى أوامر يريدونها إلى المستمعين الذين كانوا يطيعون ـــ وهم مخدوعون ـــ وهذه الخدع كشفها البابا ثيؤفيلس الحكيم للناس

[يعرض فى متحف نابولى جزءاً من تمثال ديانا الذى عثر عليه قرب سوق بومبى Pompeii. ويوجد فى مؤخر رأس التمثال فتحه كان الكهنة يُوَصلُون الوحى الذى يَدَّعونه لآلهة الصيد بواسطة أنبوبة متصلة بهذا الثقب]

وقد نص الأمر الذى أصدره الإمبراطور ثيؤدوسيوس أن تتم عملية التنفيذ تحت توجيه البابا ثيؤفيلس « فبدأ العمل بتطهير معبد الإله ميثرا . [ميثرا Mithras : إله النور عند الفرس وقد استخدم المترجم من اليونانية إلى الإنجليزية كلمة Mithreum للتعبير عن معبد هذا الإله الوثنى] وعَرضْ على الجماهير نماذج من أسرارهم الملطخة بالدماء وطقوسهم الدموية [ذكرت blody rights حسب الترجمة الإنجليزية] التى كانت تجرى فى هذا المعبد وذلك بطريقة كاريكاتورية . [ذكرت puplicty caricatured حسب الترجمة الإنجليزية] وعندما قام البابا ثيؤفيلس بتحويل معبد ديونيسيوس إلى كنيسة نقلت التماثيل التى فيه وعُرِضَتْ فى الشوارع إظهاراً لنجاسة الأسرار الوثنية .

وعندما صدر الأمر بتدمير معبد السيرابيوم بدأوا بإخراج التماثيل المملؤة خرافات ولها أشكال مشينه

[ترجمت إلى اللغة العربية بتصرف بدون إخلال للمعنى وذلك لما فى النص من كلمات تخدش الحياء والأدب الأخلاق لأن تلك الأشكال المشينة كانت لأجزاء معينة من تمثال الإله بريابوس Priapus]

وطافوا بها وسط سوق المدينة » [نص الحديث كما ذكره سقراطس والذى سيرمز إليه بعد ذلك بالرقم (٢)] .

« ولقد ذهل الوثنيون لهذا العرض غير المتوقع فلم يستطيعوا التحمل فى صمت ولكنهم تآمروا معاً لمهاجمة المسيحيين »[١] .

« وخاصة أساتذة الفلسفة الذين أظهروا انتقامهم وغضبهم بصورة بالغة الشراسة والعنف عندما اتفقوا معاً واندفعوا فى هجمة واحدة على المسيحيين وقتلوا من استطاعوا أن يلقوا أياديهم عليهم »[٢] .

« واستولى الوثنيون على السيرابيوم وحولوه مؤقتاً إلى قلعة .... وساقوا إليه كثيراً من المسيحيين حيث عذبوهم وأجبروهم على تقديم القرابين . أما الذين رفضوا الامتثال فقد صلبوهم وكسَّروا أرجلهم الاثنين أو قتلوهم بطريقة وحشية أخرى »[1] « وقد بذل المسيحيون محاولة لمقاومة المهاجمين وبذلك زادت حدة المصادمة وتضخمت وقد استمر هذا الصدام حتى شبع الناس من شهوة إراقة الدماء فتوقفت المعارك ... وحينئذ اكُتشِفَ أن الذين قتلوا من الوثنيين كانوا قليلين جداً بينما ذُبحَ من المسيحيين عدد ضخم جداً ... أما المصابون بالجراح فكان عددهم من الجانبين لا يحصى ..... »[2] .

« وبعد ما ساد الهدوء لفترة ما ، جاء الحكام وحثوا الناس على تذكر القوانين وعلى إلقاء أسلحتهم وأن يتخلوا عن السيرابيوم فجاء حينئذٍ رومانوس قائد الفرق العسكرية بمصر ومعه إيفاجريوس الحاكم (المتصرف بالإسكندرية) ولما فشلت مجهوداتهم أخبروا الإمبراطور بما حدث . أما أولئك الذين تحصنوا فى السيرابيوم فقد اعدوا أنفسهم لمقاومة أكثر ضراوة وعنفاً خوفاً من العقوبة التى تنتظرهم حيث كانت خطابات أوليمبيوس النارية تُشعِل حماسهم أكثر . وكان هذا الرجل يلبس ملابس الفلاسفة وكان يحثهم على الموت أفضل من إهمال آلهة آبائهم . وعندما كان يلمح تخاذلهم بسبب تحطيم التماثيل الوثنية كان يؤكد لهم أن ذلك لا يبرر لهم ارتدادهم عن دينهم . لأن هذه التماثيل مكونة من مواد قابلة للفساد حقاً ولكنها صوراً للآلهة فبذلك يمكن أن تختفى هذه الصورة بينما القوى التى تكمن فيها قد صعدت إلى السماء . وبمثل هذه الكلمات إستطاع أن يبقى الجماهير معه فى السيرابيوم .

وعندما علم الإمبراطور بما حدث أعلن أن المسيحيين الذين ذُبحوا مُطَوبون حيث إنهم حُسبوا فى صفوف الشهداء الذين دافعوا عن الإيمان . وقد أعلن عفواً عاماً للذين ذبحوهم ... آملاً أن مثل هذا العمل من الصفح سيجعلهم

أكثر استعداداً لاعتناق المسيحية . وأمر بتدمير المعابد فى الإسكندرية التى كانت سبباً فى الفتنة الشعبية (popular sedition) ويقال إنه عندما قُرِىء المنشور الإمبراطورى وسط الجماهير ــ صاح المسيحيون بصوت عظيم معبرين عن سرورهم ــ لأن الإمبراطور قد ألقى اللوم فيما حدث على الوثنيين ...

أما الذين كانوا متحصّنين داخل السيرابيوم فقد ارتعبوا عندما سمعوا هذا الصياح فبدأوا يتسللون هاربين ، فوضع المسيحيون يدهم فوراً على المكان (Spot) وبقى فى حوزتهم منذ ذلك الحين .

ويذكر سوزومينوس أن البعض قد أخبره ... أنه فى الليلة السابقة لهذه الحوادث سمع أوليمبيوس شخصاً يرتل هلليلويا فى السيرابيوم رغم أن الأبواب كانت مغلقة وكل شىء كان ساكناً ، ولما لم يكن يستطيع أن يرى أحداً رغم سماعه صوت المرتل ، فهم على الفور دلالة هذه الإشارة ... فتسلل مغادراً السيرابيوم دون أن يعلم أحداً حيث سافر إلى إيطاليا »(١) .

ويذكر سقراطس أن من بين الذين هربوا كان : هيلاّديوس Helladius وأمونيوس Ammonius أستاذا البلاغة اللذان تَتَلْمَذْتُ عليهما فى حداثتى فى القسطنطينية .

ويقال إن هيلاديوس كان كاهناً لجوبيتر Jupiter وتباهى بأنه ذبح بيده فى ذلك اليوم تسعة رجال [بدون استخدام أى سلاح أو آلة] وأما أمونيوس أستاذ النحو والبلاغة فكان كاهناً لسيميوس (Simius) .

وبعد ذلك مضى البابا ثيوفيلس إلى معبد سيرابيس الذى كان يصفه البعض بأنه يتفوق على جميع هياكل العالم فى الحجم والجمال

[كان تمثال الإله يتكون من عدد كبير من الألواح المعدنية المختلفة الأنواع متصلة

ببعضها بطريقة فنية جميلة وكان تمثال الإله يلمس كلاجانبى حائط الهيكل . وكان سيرابيس يفترق عن جوبيتر ويتميز عنه بمسله كان يحملها على رأسه وبشعار الوحش الذى كان يقبض عليه بيده اليمنى وكان هذا الوحش له رأس وجسد حية بينما يتفرع ذيلها إلى ثلاثة ذيول تنتهى بثلاثة رؤوس واحد لكلب وواحد لأسد وواحد لذئب]

(Gibbon: On the authority of Macrobius sat vol.1,P.P.20)

وهناك رأى تمثالاً ضخماً كانت ضخامته تصيب المشاهدين بالرعب الذى كان يزيده ما يقال عنه انه اذا اقترب منه أى إنسان ارتعدت الأرض بالزلازل . وتحطمت وفنى الناس .

ولما كان البابا يثق إن هذه الأقوال ما هى إلاَّ أحاديث النساء العجائز وبكل إستهتار بمكانة التمثال ـــ أمر رجلاً بيده فأس أن يعطى سيرابيس به ضربة قوية . وما إن تم ذلك حتى جزع الناس وصرخوا خوفاً من الكارثة المحيقه . أما سيرابيس الذى تلقى الضربة فلم يشعر ـــ طبعاً ـــ بأى ألم ، ولم ينطق بأية كلمة وعندما قطعت رأسه خرجت أفواج من الفئران تجرى لأنه كان مأواها . وتم تحطيمه إلى قطع صغيرة وضعت فى النيران ـــ أما رأسه فقد حملتها الجماهير فى المدينة كلها على مرأى من العابرين الذين أنقلبوا يسخرون من ضعف الإله الذى طالما أحنوا ركبهم أمامه [**نص الحديث كما ذكره ثيؤدوريت**] .

وأما تماثيل الآلهة الأخرى فيقول عنها سقراطس إن : البابا ثيؤفيلس صهرها وحولها إلى آنية وأدوات مفيدة للاستخدام فى الكنائس بالاسكندرية ، وفى الإنفاق منها على إغاثة الفقراء حسبما أوصاه الإمبراطور ، وفعلاً كُسِّرت كل التماثيل إلى أجزاء صغيرة ماعدا تمثال الإله الذى ذُكِرَ من قبل والذى أبقاه (البابا) ثيؤفيلس للعرض على الجماهير ، ولئلا ينكر الوثنيون أنهم عبدوا مثل هذا الإله فى يوم من الأيام فى المستقبل كما قال .

العلامات الهيروغليفية التى وجدت فى معبد سيرابيس :

[ذكرها سوزومينوس باختصار أما سقراطس فذكرها بالتفصيل وورد هنا النص المترجم]

(عندما هُدِمَ معبد سيرابيس وصار أنقاضاً ، وُجِدَت فيه نقوش معينة يطلق عليها الهيروغليفية محفورة على الأحجار . وكان لها أشكال الصلبان ـــ فلما رآها المسيحيون والوثنيون طبّقها كل منهم على ديانته ، فالمسيحيون يؤكدون إن الصليب هو علامة آلام السيد المسيح المحيية ولذلك قالوا إن هذه الرموز خاصة بهم ـــ بينما ادعى الوثنيون إنه من المحتمل أن تشير إلى السيد المسيح وسيرابيس فى نفس الوقت لأنها ترمز إلى شيء واحد للمسيحيين وإلى شيء آخر للأمميين) .

وبينما كان الطرفان يتجادلان مع بعضهم اعتنق بعض من الأمميين المسيحية . وكانوا ملمَّين بالحروف الهيروغليفية فَفسروا شكل الصليب قائلين إنه يرمز إلى الحياة الآتية . فتهلل المسيحيون بذلك التفسير وتمسكوا به .

ولكن بعد أن وضحت غوامض اللغة الهيروغليفية واكتشفت معانى بعض الرموز الأخرى ، وُجِدَ أنها (عبارات تدل على تنبوءات) كالاتى : (عندما يظهر الصليب) (الحياة الآتية) (معبد سيرابيس لابد وسيتحطم) فأعتنق عدد كبير من الوثنيين المسيحية واعترفوا بخطاياهم وتعمدوا .

وهذه هى التقارير التى سمعتها بخصوص اكتشاف هذه الرموز فى شكل صليب ، ولكننى لا أستطيع أن أتصور أن الكهنه المصريين عرفوا مسبقاً ـــ أى تنبأوا ـــ بالأشياء الخاصة بالسيد المسيح عندما نقشوا (حفروا) شكل الصليب على الأحجار لأنه إذا كان مجيء المخلص إلى العالم سراً مخفياً لأجيال وعصور ـــ كما يصرح الرسول ـــ واذا كان الشيطان نفسه (أمير الشر

والظلام) لم يعلم عنه شيئاً ، فإن خدامه ــ أعنى كهنه المصريين ــ كانوا بالضرورة أكثر منه جهلاً بخصوص هذا الموضوع .

ولكن العناية الالهية قصدت بلا شك ــ إنه أثناء التحرى عن هذه الحروف ــ أن يكتشف الناس شيئاً مماثلاً لما قصده بولس الرسول فى عظاته . فهوذا إذ انسكبت عليه الحكمة الآلهية بعمل الروح استخدم طريقة مماثلة للأثينيين وضم كثيراً منهم إلى الإيمان وذلك عندما قرأ النقش على أحد مذابحهم فإنه لائم النقش واستخدمه فى حديثه . مالم يقل البعض إن كلمة الله يمكنها أن تستخدم الكهنة المصريين ــ كما استخدمت بلعام وكما استخدمت قيافا ــ فى إصدار نبوات صالحة رغم حالتهم الذاتية .

وكان لنهر النيل مقياس محفوظ فى هيكل السيرابيوم من عهد حكم البطالسة وقد نقله قسطنطين القيصر الرومانى إلى كنيسته الكبرى سيزاريوم ثم أعيد إلى هيكل السيرابيوم بأمر يوليانوس الجاحد . ولما هُدِمَ هذا الهيكل حمله المسيحيون باحتفال عظيم إلى كنيسته مما دفع الوثنيين أن يتنبأوا بغيظ بأن الآلهة ستنتقم منهم بإنقاص مياة النيل جزاء إهانتهم لها . واتُفِقَ على أن النيل فى تلك السنة لم يرتفع إلى معدله فظن ضعاف العقول من الوثنيين والمسيحيين إن ذلك نتيجة انتقام الإله سيرابيس وأخذوا ينقمون على البطريرك والوالى فكتب هذا إلى القيصر يخبره بالأمر فرد عليه قائلاً « إذا كان النيل لا يفيض إلا بواسطة السحر أو الرقى أو بذبح الذبائح وتقديم المحرقات للأوثان . فخير له ألاَّ يفيض وأن تبقى مصر ظمآنة إلى الأبد » .

ولم يكد هذا الامبراطور يصدر أمره الآنف ذكره حتى تغير الحال وأخذ النيل فى الفيضان بسرعة زائدة حتى خاف الناس الغرق بعد أن كانوا يخافون الشرق وزال بذلك خطر الثورة فهدأ بال المسيحيين واستراح خاطرهم [تاريخ

الأمه القبطية بتشر ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ومنسى يوحنا ص ١٧٧] وبذلك تمكن البابا ثيؤفيلس من أن ينقذ كل المدن المصرية من عبادة الأوثان وقضى على عبادة الآلهة صنع الأيدى كما تنبأ عنه القديس أثناسيوس الرسولى [H.Zotenberg, LXXIX] وأروع خاتمة لهذه الحوادث هى لثيؤدوريت الذى قال : **وهكذا تحطم عالم الوثنية .**

البابا اثناسيوس الرسولى

اهتمام البابا ثيوفيلس بابن أخته كيرلس

فقد علمه ورباه أحسن تربية ثم أرسله إلى جبل النطرون إلى برية القديس أبو مقار فأقام هناك خمس سنوات في الأديرة يقرأ الكتب العتيقة والحديثة وكان يوصيه بالمواظبة على التعليم ويقول له إنك تصل بذلك إلى أورشليم العلوية التى هى مسكن القديسين وكان ملازماً له فى قلاية البطريركية وكان أناغنوسطيس ، ولما أرسله إلى البرية سلمه لسرابيون الحكيم وأوصاه أن يعلمه علوم البيعة التى هى علوم الله الحقيقية فحفظ جميع الكتب وكان يقف قدام معلمه يقرأ وفي يده سيف حديد فإذا نعس ينخسه به فيستيقظ . وكان فى معظم الليالى يقرأ فى الليلة الواحدة الأناجيل الأربعة والرسائل الجامعة وأعمال الرسل ورسالة بولس الرسول إلى أهل رومية . فإذا كان بالغداة ينظر وجهه فيعلم معلمه أنه قد وقف ليلته كلها . وكانت معه نعمة الله حتى إنه كان إذا قرأ كتاباً دفعة واحدة يحفظه ، فحفظ فى تلك السنين جميع الكتب الشرعية ، وبعد هذا أرسل البطريرك ثيؤفيلس إليه وأعاده إلى الإسكندرية . وكان معه فى قلاَّيته يقرأ بين يديه فتعجب منه الكهنة والعلماء والفلاسفة وفرحوا به لحسن صورته وطيب جرمه الذى لا يتغير كما هو مكتوب **إنى فتحت فاى واستنشقت روحاً** (**راجع مز ١١٩ : ١٣١**) وكان كل الشعب إذا سمعوه يقرأ يشتهون أن لا يسكت لحلاوة قراءته وحسن صورته . وكان خاله الأب ثيؤفيلس يفرح به جداً ويشكر الله إذ رزقه ولداً روحانياً قد نشأ بالنعمة والحكمة وكان له سيرة حسنة وتواضع لا يخرج عن العلوم الروحانية

والنظر فى أقوال الآباء معلمى البيعة الأرثوذكسية أثناسيوس وديونيسيوس واكليمنضس وأوسابيوس بطريرك رومية وباسيليوس أسقف أرمينية وباسيليوس أسقف كبادوكية هؤلاء الآباء الأرثوذكسيون الذى قرأ تعاليمهم وكان يرفض مقالة أريجانوس ولم يمسك كتابه بيده يوماً قط فإذا بلغه أن أحداً من المؤمنين قرأه رفضه وأبعده . وعندما قرأ كيرلس فى الإنجيل المقدس « **اسألوا تعطوا اطلبوا تجدوا** » فهم ذلك ، وطلب من الله العلم فأعطاه إياه وكان كالنحل الذى يخرج يرعى على النباتات والأشجار ويجمع ربح نفسه إلى أن يملأ وعاءه عسلاً خالصاً بغير دنس . وكان مع البابا ثيؤفيلس فى قلايته البطريركية وأصبح كاتباً له وملازماً له فى جميع أعماله ...

[تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع طبعة B.Evetts صفحة 427-429 طبعة C.F.Seybold صفحة 76-77]

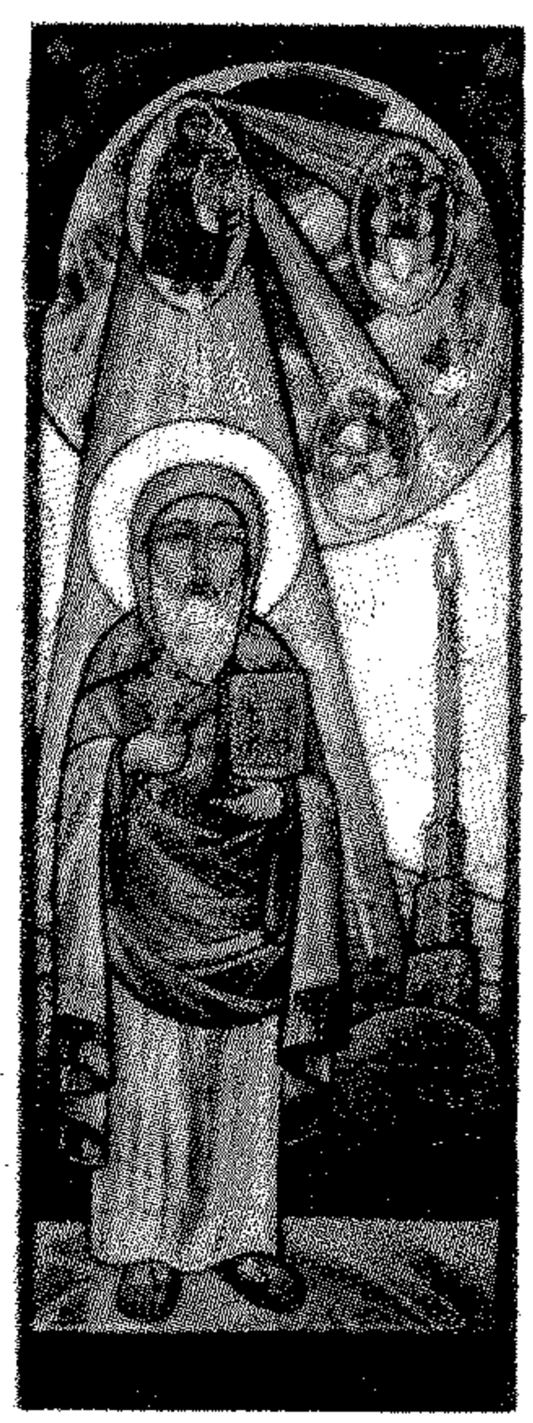

البابا كيرلس عمود الدين

البابـــا والرعيـــة

كان البابا ثيؤفيلس محباً لرعيته ملبياً لرغبتها فى إختيار الأساقفة لها . وكان ينتقى الأساقفة من رهبان الأديرة ونساك البرارى وفى بعض الأحيان كان يذهب ـــ بنفسه ـــ تلبية لرغبة شعبه ـــ إلى المختار للأسقفية كما حدث مع القديس نيلامون الحبيس (Cheneau,I,48-50) الذى عاش فى إحدى المغارات الطبيعية المتناثرة فى الصحراء الشرقية بالقرب من قرية صغيرة تدعى جيرا تبعد عن الفرما شمالى سيناء بحوالى خمسين غلوة (تسعة كيلو مترات تقريباً) .

وحدث إنه أثناء عودة البابا ثيؤفيلس إلى الإسكندرية ان قامت عاصفة هوجاء اضطرته إلى الرسو عند هذه القرية فخرج أهلها لاستقباله ثم طلبوا منه أن يرسم لهم هذا القديس عوضاً عن أسقفهم الذى انتقل قبل قدوم البابا بفترة قصيرة فذهب البابا ومعه الكهنة وأراخنة الشعب إلى مغارة هذا القديس الذى كان قد وضع على بابها أكواماً من الحجارة وناداه باسمه ليخرج وأعلمه إن الصوت الجماعى للشعب هو تعبير عن إرادة الله .

وقد تشجع أحد الحاضرين واقتحم الحواجز ودخل المغارة وأحاط بالناسك وحمله إلى خارج المغارة غير عابىء بصياح هذا القديس محتجاً مرة ومستعطفاً مرة أخرى آملا أن يتركوه لعزلته لشعوره بعدم استحقاقه ، وأمام إلحاح الشعب الذى ازداد إصراراً لمساندة البابا لهم استجمع نيلامون أنفاسه وطلب منهم أن

يمهلوه إلى الغد . وفى الغد عاد إليه البابا مع الشعب وطلبوا منه الخروج فأجابهم من الداخل قائلاً : بكل سرور ولكن .. فلنصلِّ أولاً .. فسقط الجميع على ركبهم وارتفعت أصواتهم حارةً إلى السماء ولما طالت الصلاة وبدأ النهار يميل أمر البابا الواقفين أن يزيلوا ما تبقى من الحجارة وعندما ظهر باب المغارة تقدمهم البابا إلى حيث وجد القديس راقداً على الأرض رقدته الأخيرة وذراعاه ممدودتان على شكل صليب وعيناه متجهتان نحو السماء وقد شعّ من وجهه النور والسلام بركة صلاته تكون معنا آمين .

وقد سام هذا البابا عدداً غير قليل من الأساقفة لم نعرف منهم على وجه الدقة إلا الآتى اسماؤهم :

١ ــ الأنبا يوحنا أسقف مدينة أرمنت :

هذا الأب القديس هو أخ للأنبا بسنتاؤس .. وذات يوم خرج الى الحرجة ليحتطب حطبا فراودته أفكار جسدية من الشيطان وللوقت طرح نفسه فى وسط الشوك فامتلأ جسده من الشوك وتجرَّح فلما رجع الى الدير عرف القديس الأنبا بسنتاؤس بالروح ما جرى له ، فتلقاه وقال له : « مرحباً بالغصن الصغير ، فها قد وهبك الرب لأجل إحتمالك وصبرك وقوة قلبك أسقفية مدينة أرمنت » . وبعد تلك الأيام ذهب أهل المدينة إلى الأب بسنتاؤس وسألوه أن يصير أسقفاً فامتنع ، فأخذوا الأنبا يوحنا معهم وذهبوا به للإسكندرية حيث رسمه البابا لهم أسقفاً . ولما جاء إلى المدينة عَمَّد كثيرين من الوثنيين الذين كانوا بها وكان يبنى الكنيسة فى النهار فيأتى الوثنيون ليلاً ويهدمونها فلم يضجر من ذلك بل صبر حتى ظهرت فيهم الآيات ورجعوا وطلبوا منه الصفح . فعمَّدهم .. وكان شديداً فى كلامه معهم ويقطع بكلام الحق قائلاً مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا وكان مهيباً من الأراخنة وكتاب المدينة فكانوا يخافونه ، لذلك لم

يقدروا أن يظلموا أحداً فى أيامه .. وكانوا يوقرون الكهنة ويهابونهم لهيبته . وتنيح فى اليوم السابع من شهر كيهك . بركة صلاته تكون معنا أمين .

[سنكسار رينيه باسيه صـ ٣٩٤ ــ ٣٩٥]

٢ ــ القديس الأنبا سمعان (هدرا)

ولد سنة ٣٥٠م فى مدينة أسوان من أبوين مسيحيين تقيين ربياه على مخافة الله وعلماه طريق الفضيلة منذ نعومة أظفاره .. ولمَّا بلغ سمعان الثامنة عشرة من عمره ترهب فى دير بمدينة منف وبعد أن أمضى فى الدير ثمانى سنوات انفرد فى البرية الجوانية ليمارس حياة التوحد المطلق . وقد منحه الرب موهبة شفاء المرضى وإخراج الشياطين .

القديس الانبا سمعان هدرا وتلميذه

* **دعوتـــه للأسقفيـــة :**

شاء الله أن يدعوه وهو فى صومعته برؤيا إلهية أشرقت على قلبه وروحه قبل أن يتلقى الدعوة البشرية من الناس . وحدث بعد ذلك أن رقد فى الرب أسقف أسوان فسعى المؤمنون إلى الدير وهناك اجتمعوا بالرهبان حيث أثنوا على القديس سمعان (هدرا) ثم بحثوا عنه ، ولما وجدوه أخذوه إلى البابا ثيؤفيلس فرسمه لهم أسقفاً على أسوان ، وبعد جلوسه على كرسى الأسقفية صنع الله على يديه معجزات كثيرة ـــ ورقد فى الرب فى عهد الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير (٣٧٩ ـــ٣٩٥م) وقد أكرمه الله فجرت من جسده أشفية وعجائب وآيات كثيرة [**كتاب القديس الأنبا سمعان (هدرا) بقلم الأنبا غريغوريوس أسقف عام للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمى ـ ١٩٨٦م**]

٣ ـــ الأنبا سينسيوس أسقف بنتابوليس :

يعتبر سينسيوس الليبى أشهر أساقفة المدن الخمس قاطبة ، فقد شهد الأثرى بيركنز بأنه لم يبرز فى كنيسة سيرينيكا أى أسقف آخر سواه وأعتبره الدكتور نيل أعظم نائب لبابا الإسكندريه فى بنتابوليس ووصفه هاردى بأنه أسقف فوق العادة . وقد امتاز بأنه أكثر أساقفة ليبيا اتصالا بالكنيسة الأم فى مصر بسبب ثقافته العالية .

ولما خلا كرسى المطرانية فى بنتابوليس سنة ٤٠٩م فى وقت عصيب يحتاج إلى قيادة روحية حكيمة وحازمة . فلم يكن فى الصورة من هو أكفأ من سينسيوس ذلك الرجل المثقف والمحب للخير الذى أختبر ونجح فى عدة مجالات بالإضافة الى إيمانه المسيحى العملى القائم على المحبة والتعاون مما أهَّله لأن يختاره كهنة الإيبارشية جميعاً ويؤيدهم فى ذلك شعبهم أيضاً إلا إنه ظل متردداً فى قبول المنصب الدينى الكبير نحو سبعة أشهر محاولاً الهرب من هذه الكرامة .

ومع ذلك فقد توجه وفد كبير من كهنة الكنيسة ومعهم مندوبون عن الشعب إلى البابا ثيؤفيلس الذى أجاب طلبهم لثقته التامة فى إخلاص مرشحهم وأمانته وصراحته التامة وأدرك أمام هذا الإجماع إنها إرادة الله . وقد رسمه البابا ثيؤفيلس بالإسكندرية سنة ٤١٠م بحسب إجماع الآراء ليكون بذلك أسقفاً ورئيساً للمجمع المقدس فى بنتابوليس

[مختصره عن بحث قيم للدكتور ميخائيل مكسى اسكندر ، تاريخ كنيسة بنتابوليس (المدن الخمس الغربية) ١٩٨٧ ص ٢٧٦ــ٣٢٧ . حيث رجع المؤلف الى ١٤٢ كتاب فى هذا البحث]

٤ ــ ومن الأساقفة الذين سامهم البابا ثيؤفيلس :

أ ــ إبنا الأرملة التى حضرت من رومية والتى ذكرت قصتها فى تعمير الكنائس على يد البابا ثيؤفيلس (صـ٥٨ ،٥٩) ولم نتوصل بالبحث والدراسة الى اسميهما أو إيبارشيتيهما .

ب ــ من المعتقد أيضا أن الانبا نابس أسقف كرسى عيذاب من الاساقفة الذين سامهم البابا ثيؤفيلس . **[مجلة الكرازة السنة ٧ العدد الأول ٢ يناير ١٩٧٦صـ١١]**

الرهبنة فى عهد البابا ثيوفيلس

كانت الرهبنة فى أيامه فى أوج مجدها ، والأديرة القبطية زاخرة بالرهبان العلماء والقديسين الأبرار الذين رددت أرجاء الوديان أصداء صلواتهم العابقة بشذى النسك والطهارة ، كما أنها كانت معاهد علمية للعلم والفضيلة ، هذا بالرغم من حدوث بعض المشاكل لفتره عكرت صفو الحياة الرهبانية فى نتريا والأسقيط كما سيأتى ذكرها فيما بعد .

وقد قام المؤرخون المشهورون مثل (بلاديوس ــ جيروم ــ كاسيان وصديقه جرمانوس ــ ومؤرخ الهستوريا موناخورم) بزيارة أديرة مصر ونساكها العظام فى ذلك الوقت وكتبوا بعد ذلك ما شاهدوه أو سمعوا عنه ...

ولا يتسع المجال هنا لسرد تفاصيل المجلدات التى كتبها أولئك المؤرخون وكذلك أسماء النساك العظام الذين عاصرهم البابا فى عهد بطريركيته .

والعجيب أنه رغم عظم شأنه فى ذلك الوقت ، كان دائماً شغوفاً بالتوجه إلى شيهيت ومقابلة النساك طالباً الإرشاد أو كلمة منفعة ، وله معهم أحاديث وأقوال مأثورة فى تبكيت النفس وحياة التجرد وإحتمال تجارب الآلام والشدائد .

كما كان يرجع إلى الرهبان لمعاونته فى بعض المهام وإلى السواح فى البعض الشاق منها ، فمثلاً أرسل القديس يحنس القصير إلى بابل [فى بلاد ما

بين النهرين] لإحضار أجساد الفتية الثلاثة لبناء كنيسة لهم فى الإسكندرية [**ذكرت تفاصيلها فى صـ ٦١**] . كما أرسل السواح من دير الأنبا باخوم إلى أورشليم لطرد الشياطين من معبد أوثان لتحويله إلى كنيسة..

حكمـــة وإفـــراز :

قال أنبا دانيال إن شيخاً عاش فى مصر الوسطى ، قال فى بساطه إن ملكى صادق كان ابناً لله . فلما علم البابا ثيؤفيلس بذلك أرسل يستدعيه فلما حضر قال للبابا بسذاجة إنه يرى رؤى ، وإن كل ما يطلبه من الله يعطيه له . فتصرف البابا معه بحكمة ، قائلاً يا أبى تضرع إلى الله من أجلى لأن أفكارى تقول لى إن ملكى صادق كان ابن الله ، ثم استدرك قداسته بقوله : ولكنى أعلم إنه رئيس كهنة الله ، وكان إنساناً .

والآن قد أتعبتنى هذه الأفكار ، فقد أرسلت فى طلبك لتكشف لىَّ الأمر . ونظراً لأن هذا الشيخ له ثقه فى استجابة الله له دائماً ، فقال للبابا : انتظر ثلاثة أيام وسأتحدث إلى الله فى الأمر واجيبك .

وخرج الرجل من عنده ، ثم عاد بعد ثلاثة أيام ليقول لرئيس الأساقفة إن ملكى صادق كان إنساناً . فقال له البابا وكيف عرفت ذلك ؟ فقال له الشيخ الساذج : إن الله أرانى جميع الآباء واحداً فواحداً ، ومروا جميعاً أمامى من آدم إلى ملكى صادق وعندئذ قال لى الملاك إن هذا هو ملكى صادق ... هذا هو الأمر كما ظهر لى ، فرحل الشيخ وهو يعلن أن ملكى صادق كان إنساناً وفرح لذلك جدا البابا ثيؤفيلس .

وحدث أن الرهبان طلبوا ترقية الأنبا موسى الأسود إلى درجة الكهنوت وأرسلوه إلى الثغر الاسكندرى . وكان البابا ثيؤفيلس قد سمع عن كثرة تواضع

الأنبا موسى الأسودً فأراد أن يمتحنه فلما دخل الهيكل أمر الكهنه أن يطردوه قائلين : « اخرج يا أسود من هنا » ثم أرسل البابا وراءه شماساً ليسمع بماذا يناجى به نفسه ؟ فسمعه يقول : لقيت ما تستحق لأنك لست إنساناً وقد تجرأت على مخالطة الناس .

ثم دعاه البابا ثانية ولما ألبسه لباس الكهنوت الأبيض قال له : ها قد عدت يا موسى أبيض كلك . فقال : عسى أن يهبنى الله أن أكون كذلك فى الباطن والخارج .

وفى مرة أخرى كان بعض الآباء يأكلون عنده بدعوة منه فقدم لهم لحم عجل وكان ذلك عن قصد وبحكمة فسرها القديس فليكسينوس المنبجى :

إنه فى مصر والإسكندرية كان هراطقة كثيرون مختلفو الآراء كلهم يلومون المتوحدين ، ويظنون أنهم على رأى مذهب المانية المرذول ــ يحرمون الزيجة وأكل اللحم . وأيضاً قوم من أولاد الكنيسة غير العارفين كانوا يشكّون فيهم ويلومونهم بقول بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس ها الروح يقول إن فى الزمان الأخير يبعد البعض عن الأمانة ويمضون خلف روح الضلالة وخلف التعاليم الشيطانية هؤلاء الذين يطغون ويقولون كذباً . وهم محرّفون سريرتهم ويمتنعون عن الزيجة . ويبعدون عن الأطعمة التى خلقها الله ــ للاستعمال والشكر للذين يؤمنون ويعرفون الحق لأن كل ما خلقه الله هو حسن وليس شىء مرذولاً إذا كان بالشكر لأنه يطهر بكلام الله والصلاة (راجع ١تيمو ٤:١ــ٥) وكثيرون من الذين كانوا يسمعون هذه الأقاويل كانوا يتشككون فى أمر الرهبان . فأمر فى جميع الأديرة بأرض مصر أن يأكلوا اللحم يوماً واحداً فى السنة وهو عيد الخمسين .

فلما دخل الآباء إلى البطريرك بالإسكندرية طلب بأن يوضع قدامهم لحماً

حتى إذا سمع الفلاسفة وكل الهراطقة وغير العارفين المتشككين من أولاد البيعة ، إن الرهبان يأكلون اللحم مع البطريرك يزول لديهم لوم الهراطقة وبالتالى يزول شك أولاد الكنيسة ، كقول بولس الرسول : **وأكون بلا عثرة لليهود والشعب ولبيعة الله** . (**راجع أع ١٦:٢٤**) ولهذا أمرهم البطريرك بالأكل وأطاعوه هم أيضاً واكلوا ببساطة وشكر وصلاة .

مع القديس أرسانيوس :

من المعروف إن الإمبراطور تيؤدوسيوس الكبير (٣٧٩ ــ٣٩٥م) قد أوكل تعليم ابنيه أركاديوس وهونوريوس إلى القديس أرسانيوس ــ الذى أصبح له مركز عظيم عن ذى قبل ــ إلا إن القديس كان لا يفتر عن طلب الله بدموع لمعرفة الطريق الذى يوصله إلى الخلاص . وبإعلان سمائى ترك البلاط الملكى وهجر العالم وذهب إلى برية شيهيت . وكان البابا فخورا به على الرغم مما كان يواجهه من إجابات من القديس تظهر وكأنها جافة فى بعض الأحيان ...

ففى ذات يوم زاره البابا وكان يرافقه أحد الحكام وطلب منه أن يسمعه كلمة . فأجابه القديس بعد أن صمت قليلاً : حتى ولو قلت لكما كلمة ، هل تحفظانها ؟ فوافق الاثنان على حفظها فقال الأب : حيثما تسمعا بأرسانيوس لا تقتربا .

وفى مرة أخرى أراد البابا أن يزوره فأرسل يستعلم إذا كان يفتح قلايته فأجابه الأب قائلاً إذا أتيت فسأفتح لك وإذا فتحت لك فسأفتح للجميع .. عندئذ لن أقيم حيث أنا فلما سمع البابا هذا الكلام قال : إذا كان ذهابى إليه سيرغمه على الهرب فلن أذهب إليه أبداً .

من المتواتر عن الأنبا أرسانيوس أنه أقام ردحاً من الزمن فى مكان منعزل فى البرية ، فجاءت سيدة من نبيلات روما لنوال بركته ، وكانت عذراء موفورة الثراء ، فاستقبلها الأنبا ثيؤفيلس رئيس أساقفة الإسكندرية . وعندئذ أفضت إليه برغبتها فى زيارة الأنبا أرسانيوس . ولكن الأخير اعتذر فى رفق عن ذلك لرئيس الأساقفة . وعندئذ استعدت النبيلة الإيطالية للعودة إلى روما وهى تصرِّح بأنها تحس فى أعماقها إنها ــ لابد ــ ستراه قبل رحيلها . وفعلاً ما كادت تمر على قلايته فى طريقها للخارج حتى كانت العناية الإلهية قد رتبت أن تجده واقفاً خارجها . فخرَّت ساجدة للرب عند قدميه ، فرفعها عن الأرض فى استياء شديد ثم راح يلومها قائلاً : كيف تتحملين كل مشاق هذا السفر الطويل ــ وأنت سيدة ــ فى سبيل مقابلة رجل خاطىء مثلى ؟ أتبغين من وراء ذلك عند العودة إلى روما التفاخر بلقاء إنسان مسكين مثلى . وبذلك تضيفين إلى شخصى وإلى نفسك خطية أخرى ، وهى خطية التفاخر بغير اسم الملك المسيح له المجد ، مناقضين بذلك قول القديس بولس الرسول « من يفتخر فليفتخر بالرب » كما إنك بعملك هذا ستشجعين غيرك من النساء على أن يحذون حذوك ويأتين من روما لإزعاجى فأجابته النبيلة قائلة : أعدك يا أبى ألا أدع أية سيدة تأتى إليك ولكننى أرجو أن تصلى من أجلى وأن تذكرنى دائما فأنهى القديس حديثه مع السيدة بقوله : « سأصلى إلى الرب دائماً أن ينزع ذكرك من قلبى » . ثم انصرف عنها وتركها نهباً لأشد العواطف قتامة وحزناً . وما كادت تصل إلى المدينة حتى كانت أثقال تأنيب الضمير قد أرهقتها وأوقعتها فريسة للحمى ، وسمع البابا بمرضها ، فتوجه إليها يستطلع سر هذا المرض المفاجىء ، فأطلعته على تفاصيل ما حدث ...

وذكرت له تلك العبارة التى ختم بها الأنبا أرسانيوس حديثه معها . وأقضَّ بها مضجعها [**أى داهمها أرق شديد فلم تنم**] ، فطيَّب رئيس الاساقفة خاطرها ،

وهدَّأ من روعها ، قائلاً : ألا تعلمين إن من بين التجارب التى يلجأ إليها عدو الخير أحياناً لمحاربة رجال الله النساك أن يقحم حواء فى مخيلاتهم ؟ ولهذا السبب وحده قال لك ما قال بهذا الصدد ، ولكن ثقى إنه سيصلى دائما من أجل خلاص نفسك . فحلّ سلام الرب فى قلبها وعادت إلى بلادها فرحة ، صحيحة الجسد والروح .

ومن العجيب أن ما بدا من القديس أرسانيوس فيما هو يمكن القول عنه فى الظاهر إنها معاملة جافة نحو البابا . إلا إنه كان لها العمق الروحى الذى يختلف تماماً عن الظاهر فى المعاملة . ولكن البابا كان يعلم ذلك جيداً .. ويكِنْ له كل حب وتقدير واتضح هذا جلياً عندما أوشك البابا على مغادرة العالم قائلاً : « هنيئاً لك يا أرسانيوس لأنك كنت تتذكر هذه الساعة دائماً » .

[You are blessed, Abba Arsenius, because you have always had this hour in mind.] (Sayings of Fathers, Theoph., no. 5).

القديســـة أكسانـــى :

هذه القديسة كانت من أولاد أشراف رومية وأغنيائها . وكانت وحيدة لوالديها . وقد نشأت من صغرها على مداومة الصوم والصلاة وزيارة المسجونين والتصدق على المحتاجين . وكانت تزور أديرة العذارى برومية لتتنسك هناك . وما كان يرسل معها من طعام بيت أبيها ، كانت توزعه على الفقراء والمساكين وتكتفى بطعام الراهبات . وكانت تداوم على قراءة أخبار القديسين . وتكثر الطلبة إلى الله أن يجعل لها نصيباً معهم .

وحدث أن أحد وزراء رومية خطبها لابنه . فاهتم والدها بالأمر كثيراً وأحضر لها من الملابس أحسنها صنعة ومن الحلى والأوانى أغلاها قيمة .. ولما حان وقت زفافها قالت لأمها : إننى بعد أن يتم زواجى لا يليق بى أن أذهب

إلى زيارة صديقاتى الراهبات ، فاسمحى لى أن أذهب إليهن الآن لأودعهن ، وعندما أذنت لها أمها أسرعت أكسانى فأخذت بعض حليها واثنين من جواريها ، وقصدت شاطىء البحر وهناك وجدت سفينة أقلعت بها فى الحال إلى جزيرة قبرص . وعند وصولها إلى تلك الجزيرة غيَّرت اسمها حتى لا يعرف إنها أكسانى الذى تفسيره الغريبة . ثم ذهبت إلى القديس إبيفانيوس وأعلمته بأمرها فأشار عليها أن تذهب إلى مدينة الإسكندرية . فسافرت وهناك التقت بالأنبا ثيؤفيلس بابا الإسكندرية وأطلعته على رغبتها فى الرهبنة . فوافقها على ذلك وقصَّ لها شعرها وألبسها لباس الرهبنة . ثم باعت كل ما كان معها من الحلى والقماش وبنت بثمنه كنيسة على اسم القديس إسطفانوس رئيس الشمامسة . وأقامت مع جماعة من العذارى الراهبات أسكنهن معها الأنبا ثيؤفيلس .

وقد أخذت فى ممارسة النسك والجهاد لدرجة انتهت بها إلى أن تعيش على الخبز وقليل من البقول المبلله بالماء فقط فلم تذق شيئا مطبوخا . وكانت تنام على الأرض . وقد استمرت فى جهادها هذا مدة تزيد عن عشرين سنة .

ولما تنيحت أظهر الله آية تدل على مقدار ما حصلت عليه من النعم السمائية . وذلك حينما ظهر فى السماء فى نحو منتصف النهار صليب من نور تغلب ضوؤه على ضياء الشمس . وحوله دائرة من النجوم مضيئة كاكليل . وظل ظاهراً إلى أن تم وضع جسدها مع أجساد الراهبات القديسات ثم غاب . فعلم الناس أن ظهور هذا الصليب كان لإظهار فضلها . وبعد ذلك قصَّت الجاريتان أمر سيدتهما على الأب البطريرك من البداية إلى وقت نياحتها . وكيف إنها غيَّرت اسمها واستحلفتهما بإخفاء أمرها ، وأن يظهرا أنها أختهما . فتعجب الأب البطريرك من ذلك ومجد الله . وكتب سيرتها من أولها إلى آخرها ، صلاتها تكون معنا ، آمين .

فى جبل النطرون بنتريا :

ذهب البابا ثيؤفيلس ، يوماً إلى جبل النطرون لزيارة الآباء فلما استقبله الكاهن سأله قائلاً : أى كنز روحى أحرزته من هذا الطريق ؟ فأجابه الشيخ قائلاً : أصبحت لا أكف عن أن أتهم نفسى بالتراخى فى طريق التفوق الروحى وألومها.

فقال له الأنبا ثيؤفيلس : الحق إن هذا هو طريق الخلاص . وفى رواية أخرى عن هذه الواقعة ذهب الأنبا ثيؤفيلس إلى جبل النطرون وسأل أحد الآباء من شيوخ البرية قائلاً : ما الذى يستزيده الرهبان هنا من كنوز التفوق الروحى ؟

فأجابه الشيخ قائلاً : إنهم يحاسبون أنفسهم حساباً عسيراً . ولا يفكرون قط فى أن يدينوا غيرهم . فقال الأنبا ثيؤفيلس ليس طريق للخلاص سوى هذا .

فى برية الأسقيط :

زار هو نفسه الأسقيط . فلما اجتمع الإخوة ، قالوا للأب بمقو : قل كلمة للأب فينتفع ، قال لهم الشيخ : إذا لم ينتفع بصمتى ، لا يمكنه أن ينتفع بكلامى .

لقاء مع الأم ثيؤدورا :

سألت الأم ثيؤدورا الأب ثيؤفيلس عن معنى قول الرسول « **مفتدين الوقت** » (أفسس ٥:١٦) فقال لها : الجملة هذه تشير إلى الربح . فإذا كنت فى لحظة شتيمة أو إهانة ، أفتدى وقت الاهانة بالتواضع وطول الأناة واكسبى لنفسك ربحاً . وفى وقت الهوان ، افتدى الوقت بالصبر ، فتربحى . وكل الأمور المضادة يمكن أن تصير لنا ربحاً ، شرط إرادتنا .

حياة التجرد وعدم القنية :

سأل أخ الانبا تادرس قائلاً : « إنى أريد أن أتمم الوصايا » فقال له الشيخ : « حدث أن كان البابا ثيؤفيلس البطريرك فى البرية ، فقال : إنى أريد أن أكمل فكرى مع الله . فأخذ دقيقاً وصنعه خبزاً ، فأتاه مساكين يطلبون شيئاً ، فأعطاهم الخبز ، ثم طلب منه آخرون فأعطاهم الزنابيل ، وطلب منه غيرهم ، فأعطاهم الثوب الذى كان يلبسه ، ودخل القلاية ملفوفا فى وزرة ، ومع ذلك كله فإنه كان يلوم ذاته قائلاً : إنى ما اتممت وصية الله » .

مع رهبنة الشركة الباخومية :

لمحبة البابا الكثيرة للرهبنة والرهبان ولا تضاعه العجيب الذى أظهره فى أحاديثه مع الرهبان . لذلك كانت له علاقة طيبة للغاية مع رهبان أديرة الصعيد وعلى الأخص رهبنة الشركة الباخومية فقد كان له مراسلات بينه وبين القديس أورزيسيوس ، والقديس أمون الذى ترهب فى أديرة الشركة الباخومية ثم نزح إلى نتريا، ثم أصبح أسقفاً . وقد كان هذا الأخير يجل البابا ثيؤفيلس ويحترمه كثيراً حتى إنه ذكر حوادث كثيرة فى رسالته إلى البابا عن حياة القديس تادرس تلميذ الأنبا باخوميوس أب الشركة وعن آباء رهبان قديسين عاشوا أيام البابا أثناسيوس وسيرهم الطاهرة .

هذه الرسالة التى حثَّت البابا ثيؤفيلس للرد على القديس أمون لكى يشكره ويظهر فيها مدى استفادته الروحية من كلماتها التقوية . ويتضح من مثل هذه الرسائل الأدب الأخلاق الرفيع الذى كان يتسم به آباء الكنيسة القبطية والرهبنة فى ذلك الوقت .

فالقديس آمون وجَّه رسالته إلى البابا بأسلوب أدبى سامى ، فينعته : بكلمة

قداستك .Your Holiness وصلِّ من أجلي ياسيدى My lord والأخ الأكبر القديس Most holy brother كما يدعو له بأن يحفظه الله للكنيسة سنيناً كثيرة فى صحة طيبة .

والبابا ثيوفيلس يرد عليه بأسلوب أدبى يقول فيه : إلى سيدى الأخ المحبوب My lord, beloved brother (هذه العبارات والأساليب التى يفهمها غير الروحيين بإنها نفاق ، كانت تعتبر شيئاً طبيعياً فى حياة أولئك القديسين الذين عاشوا حياة الاتضاع والمحبة فى المسيح) .

فكان سلوكهم وتصرفاتهم ، إنجيلاً مرئياً للجميع ...

كما إن محبته وثقته فى الرهبان الباخوميين كانت قوية والدليل على ذلك أنه فى ذات مرة قد بلغه أن الوثنيين مضوا إلى أورشليم يفتحون بيت أصنامهم فأرسل رهباناً إلى هناك ليطردوهم فلم يقدر الرهبان على الوثنيين فأرسل البابا إلى دير الأنبا باخوميوس بصعيد مصر وأحضر السواح وأرسلهم إلى أورشليم فلما دخلوها صلوا فهربت الشياطين من البربا وصيروا ذلك الهيكل مسكناً لرهبان أورشليم ولما عادوا ألحَّ عليهم للبقاء معه لمدة أسبوع وأعطاهم بستاناً كان للأب أثناسيوس البطريرك .

عمارة الكنائس فى عهد البابا ثيؤفيلس

عندما كان البابا ثيؤفيلس تلميذاً للبابا أثناسيوس وملازماً له . وصل جسد القديس يوحنا المعمدان إلى الإسكندرية وكان ذلك بسبب أن بعضاً من الأشقياء وعبَّاد الأوثان فى فلسطين قاموا بإيقاد النار فى كومة حطب ليحرقوا جسد القديس يوحنا المعمدان ، ولكن عناية السيد المسيح له المجد تدخلت فى الأمر وأفسدت عليهم مؤامرتهم . فقد ظهرت لهم رؤيا مرعبة أدخلت فى قلوبهم الخوف فولّوا هاربين . ولما رأى بعض سكان الإسكندرية الذين كانوا فى فلسطين هذا الحادث حملوا جسد القديس يوحنا إلى البابا أثناسيوس الذى وضعه فى بيت أحد كبار سكان الإسكندرية ، ووكل إليه أمر حفظ هذا الجسد ولم يعلم بهذا سوى البابا ثيؤفيلس الذى كان أناغنوسطيس (درجة القارىء من درجات الشماسية) وقتئذ وبعض الكهنة . وبعد ذلك ، وفى أحد الأيام ، كان البابا أثناسيوس جالساً فى بستان ومعه تلميذه ثيؤفيلس وقال : إن أعطانى الرب زماناً أزلت الأكوام التى كانت فى البستان وبنيت مكانها كنيسة على اسم القديسين يوحنا المعمدان وإليشع النبى فلما صار الأنبا ثيؤفيلس بطريركاً وهب هذا البستان للرهبان وأراد أن يحقق ما اشتهاه أبوه البابا أثناسيوس فى بناء كنيسة ليوحنا المعمدان واليشع النبى وكان يتحدث بذلك كثيرا .

فإذا بامرأة غنية برومية توفى زوجها وخلف لها ولدين فأخذتهما وأخذت مالها الكثير وأيقونة للملاك روفائيل وحضرت إلى الإسكندرية ، ولما سمعت

البابا ثيؤفيلس يذكر قصة الأكوام تحمست بغيرة إلهية وقدمت له الأموال الكافية لإزالة هذه الأكوام .

وبعد إتمام العمل ظهر تحت أحد الأكوام كنز مغطى ببلاطة منقوش عليها ثلاثة أحرف ثيطا Θ القبطية ΘΘΘ . فلما رآها البابا ثيؤفيلس علم بالروح القدس سر هذه الحروف وقال : لقد أتى الزمان الذى يظهر فيه هذا الكنز لأن الثلاث ثيطات قد اجتمعت فى زمان واحد وهى : ثيؤس أى الله ، ثيؤدوسيوس الإمبراطور ، ثيؤفيلس البطريرك (يعنى ذاته) ووجد أن تاريخ هذا الكنز يوافق زمان الإسكندر بن فيلبس المقدونى ، أى له نحو سبعمائة سنة . فأرسل البابا إلى الإمبراطور يعرفه بذلك ويطلب منه الحضور . فحضر ومعه أهل المدينة وعظماؤها ورأوا الكنز وتعجب الإمبراطور جداً لكثرة الأموال ومجد اسم السيد المسيح . وأمر للوقت بمبلغ عظيم للبابا ثيؤفيلس لبناء الكنائس .

ولقد تم حصر الكنائس التى بناها البابا ثيؤفيلس فى منطقة الإسكندرية ومريوط مدة بطريركيته والتى ذكرت فى المصادر التاريخية وهى :

١ ــ بيعة باسم القديسين يوحنا المعمدان وإليشع النبى ومن المرجح أنه قد بناها بجانب البستان (المذكور سابقاً) وسميت فى ذلك الوقت باسم الديماس (حيث أيد هذا الرأى عدد من المؤرخين الثقات) وقد حدث أثناء نقل الجسدين الطاهرين إلى البيعة أن عبروا أمام بيت امرأة من الصابئة (قوم كانوا يعبدون الكواكب والنجوم) لها أربعة أيام متعسرة فى الولادة ، فسمعت ضجة الاحتفال ولما علمت السبب قالت ناذرة : ياقديس الله يوحنا إذا نجوت من هذه الشدة صرت مسيحية ولم تتم كلمتها حتى وضعت ولداً فأسمته يوحنا ثم تعمدت هى وأهل بيتها . أما الجسدان فقد تم وضعهما فى الكنيسة

باحتفال عظيم وظهرت منهما عجائب كثيرة وبرىء كثيرون من المرضى والسقماء فى ذلك اليوم (وتعيِّد الكنيسة بمناسبة ظهور جسديهما فى اليوم الثانى من شهر بؤونة) ولما استشهد القديس مقاريوس الأسقف وضعوا جسده معهما . وقد نقلت أجسادهم فيما بعد إلى دير أبو مقار فى القرن العاشر الميلادى بركة صلواتهم تكون معنا أمين .

٢ ــ كنائس باسم السيدة العذراء .

٣ ــ بيعة باسم الملاك روفائيل بالجزيرة .

وفى هذه البيعة أظهر الملاك روفائيل عجائب كثيرة منها :

+ ولما سمع البربر بصيت البيعة والأموال التى فيها أتوا لكى ينهبوا كل ما فيها . فعوضاً عما كانوا قد نهبوه جعلهم ــ بعد أن أرتعبوا لما أبصروا النار فى البحر ــ يقدمون ذهبهم وفضتهم وملابسهم الغالية الثمن قرابين للكنيسة .

+ أنقذ الملاك روفائيل شماس الكنيسة الذى غرق فى البحر وزيت الأبوغالمسيس بيده .

+ قيل أن البابا ثيؤفيلس بكَّت الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير على أخته بلخاريا بسبب تصرفاتها غير المسيحية فحنق عليه الإمبراطور وأمر بوضعه فى تابوت خشبى ودفنه فى الأرض إلا إن الملاك روفائيل أنقذه من الموت .

[نشرت جريدة وطنى يوم ١٩٦٨/١١/٢٤ تحقيقاً صحفياً تحت عنوان : كنيسة الملاك روفائيل ومعبد إيزيس فى قاع البحر عند قايتباى وترجع إلى عهد البابا ثيؤفيلس ٢٣ .

غادرت الإسكندرية السيدة هونار فروست (خبيرة هيئة اليونسكو الإنجليزية فى البحوث الأثرية والتنقيب تحت الماء) بعد أن قامت بالغوص فى البحر بجوار حاجز الأمواج فى قايتباى لاستكشاف الآثار التاريخية وقد صرحت بأنها تعتزم العودة إلى الإسكندرية مرة أخرى لمسح منطقة أخرى عند طرف حاجز الأمواج الممتد من رصيف السلسلة ... وأضافت أن هذه المنطقة أثارت اهتمامها إلى أكبر حد وتعتقد أن الكشف عنها وانتشال ما بها من آثار سيؤدى إلى إلقاء كثير من الضوء على فترة كبيرة هامة فى تاريخ الإسكندرية . والمعروف أن الزلزال الذى هدم فنار الإسكندرية هدم معه معبداً رومانياً كبيراً كان قائماً بجوار الفنار ومن المرجح أن جزءاً من هذا المعبد قد تحول فى عهد البابا ثيؤفيلس بابا الإسكندرية إلى كنيسة بأسم الملاك روفائيل لأنه يعتبر راعياً وحامياً للملاحين]

٤ ــ بيعة عظيمة على اسم الثالوث القدوس بالإسكندرية : أقام البابا ثيؤفيلس بيعة عظيمة على اسم الثالوث القدوس وسماها بأسماء الفتية الثلاثة القديسين . وقصد إحضار أجسادهم من بابل إلى هذه البيعة فأعلمه ملاك الرب أن يختار القديس يحنس القصير ببرية شيهيت لهذه المهمة فكتب إليه بالحضور . ولما وصل إلى الإسكندرية فرح به البابا وباركه وطلب إليه أن يمضى لاحضار الأجساد المقدسة ليضعها داخل البيعة فأطاع أمره وذهب إلى بابل ولما وصل إلى حيث الأجساد سمع صوتاً يقول له : قل للبطريرك أن يملأ القناديل بالزيت ولا يوقدها ليلة التكريس ونحن نحضر ونوقدها . فلما أتى القديس يحنس أعلم البطريرك بما حدث . فلما كانت ليلة التكريس عملوا حسب قولهم فاشتعلت القناديل بالنار ورأى البطريرك وجماعة من الشعب الفتية الثلاثة بينهم وشفوا مرضى كثيرين . (وتعيد الكنيسه لهم فى ١٠ بشنس) بركة صلواتهم فلتكن معنا آمين

٥ ــ بيعة باسم الشهيد اسطفانوس رئيس الشمامسة والتى بنيت بالمال الذى وهبته القديسة إكسانى للبابا ثيؤفيلس (كما ورد فى صـ ٥٣ ،٥٤) .

٦ ــ بيعة بمنطقة مريوط باسم الشهيد أبى مينا (مار مينا) ذى الأكاليل الثلاثة ، أنشأها البابا ثيؤفيلس فى عهد الإمبراطور أركاديوس وأكمل بناءها البابا تيموثاؤس السادس والعشرون وهى المعروفة عند الأثريين باسم بازيليك أركاديوس .

٧ ــ بيعة باسم الإمبراطور ثيؤدوسيوس بن أركاديوس بنيت على أنقاض معبد ديونيسيوس .

٨ ــ على أنقاض معبد السيرابيوم بنيت كنيستان يعتقد انهما على اسم الإمبراطورين هونوريوس وأركاديوس .

٩ ــ تجديد بيعة باسم بطرس الرسول .

تدبير إلهى :

فلما رأى الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير صدق وعزم البابا ثيؤفيلس البطريرك ، واهتمامه ومحبته فى عمارة الكنائس . أمر له بأخذ مال البرابى (أى معابد الأوثان) التى فى ديار مصر كلها (من أسوان إلى حدود أرض الشام) .

وعلى حد قول المخطوطات القبطية ، وعليه قام البابا برحلة طويلة من الإسكندرية إلى أسوان لتنفيذ أوامر الإمبراطور وحوَّل البرابى إلى كنائس وبعضاً منها إلى مواضع لإضافة الغرباء وعين لها أوقافاً ...

ووزع أموالاً على المساكين ، حتى قيل إنه لم يوجد مسكين (محتاج) فى ذلك الوقت !!...

وقد أجمعت المخطوطات القبطية ــ التى ذكرت هذه الرحلة ــ على أن البابا ثيؤفيلس فى طريق عودته من أسوان إلى الإسكندرية وقبل عيد نياحة السيدة

العذراء (٢١ طوبه) بثلاثة أيام زار دير السيدة العذراء بقسقام (المحرق) وبصحبته عشرة أساقفة لنوال بركة المكان الذى تشرَّف بمجىء العائلة المقدسة إليه . وكان فى الدير آنئذ ثلثمائة راهب . وقد ظهرت له السيدة العذراء فى رؤيا فى ليلة عيد نياحتها ، وروت له عن رحلة العائلة المقدسة وأقامتها فى قسقام وأعلمته بأمور أخرى (ذكرت فى مكانها فى كتاب تاريخ الدير) .

والجدير بالذكر ، أن جملة من الكتَّاب المحدثون اعتقدوا أن البابا ثيؤفيلس بنى دير المحرق ... ولكن من الواضح أنه زار الدير وهو عامر بالرهبان ولعله منح معونات ورمم منشآت بالدير .

ومن الآثار المتبقية لهذه الرحلة إلى اليوم ، كنائس وادى النيل بصعيد مصر الأعلى ، والتى على سبيل المثال :

دير مار مينا المعلق (شرق منفلوط)
الآثار القبطية فى معبد الكرنك وفى معبد الأقصر .
الدير البحرى غرب الأقصر .
الآثار القبطية فى مدينة هابو بالأقصر .
دير المدينة غرب الأقصر .
الآثار القبطية فى معبد طور بأرمنت .
الدير البعيد غرب أرمنت .
الكنائس الأثرية بجزيرة فيلة بأسوان .
الكنيسة الأثرية بمعبد كلابشة .

كتابات البابا ثيوفيلس

لا شك ـــ وبدون منازع ـــ أن البابا ثيوفيلس يعتبر من معلمى الكنيسة العظام . وبالرغم من تشكيك بعض من اللاهوتيين المعاصرين في شخصيته لأن كتاباته استخدمت ضمن الحجج القوية التى استند عليها أصحاب الطبيعة الواحدة ـــ إلا إنه يعتبر لاهوتى بارع ، ومفنِّد حازم للتعاليم الأوريجانيه مع اتصافه بالحكمة الفائقة .

ويبدو أنه كان ضليعاً فى اللغة اليونانية كما شهد القديس جيروم [**الذى ترجم الكتاب المقدس من اللغة اليونانية إلى اللاتينية**] بحذاقة البابا وبلاغته فى اللغة اليونانية لدرجة أن هناك بعض الأساليب لم يقدر على إتمام ترجمتها إلى اللاتينية لسمو بلاغتها على حد قوله .

كتاباته : يشهد ثيؤدوريت **Theodoret** وليو **Leo** وجلاسيوس **Gelasius** وجناديوس **Gennadius** بأن الميراث الأدبى للبابا ثيوفيلس كان عظيماً إلا إنه لم يبق منه إلا القليل ، وقامت عدة محاولات فى القرن العشرين من بعض اللاهوتيين مثل : **Mgr Bardenhewer M.G. Laggratc, H.G.Opitz**

وقام بعدهم **M.Richard** لتجميع شمل تلك الكتابات الخاصة بالبابا ثيوفيلس فوجد أنها كثيرة جداً .

وحتى لا نرهق القارىء الحبيب فى قراءة قائمة طويلة من العناوين والمراجع

الخاصة بها فقد تم التركيز على ذكر بعض مقتطفات من كتابات البابا حتى يتسنى للقارىء الحصول على فكرة سريعة عن نوعية تلك الكتابات .

أ ــ الرسائـــل :

كتب البابا ثيؤفيلس فى طول مدة إقامته بطريركاً رسائل فصحية [**خاصة بعيد القيامة**] عددها سبع وعشرون رسالة ومع الأسف لم يصل إلينا الأصل اليونانى إلا إنه وُجد البعض منها مترجماً إلى اللغة اللاتينية على يد القديس جيروم ووُجدت أيضا فى بعض الكتابات القديمة للقديس كيرلس عمود الدين والبابا تيموثاؤس باللغة الأرمنية .

كما كتب البابا ثيؤفيلس لا يقل عن ثلاثين رسالة أخرى غير الرسائل الفصحية موجهاً بعضها إلى الإمبراطور ثيؤدسيوس وبعضها إلى القديس جيروم وإلى البابا أنسطاسيوس والبابا أنيوسنت الأول من باباوات روما والبعض الآخر إلى رهبان الشركة الباخومية .

ب ــ عظات وميامـــر :

أمكن للدارسين التوصل إلى جمع مالا يقل عن سبع وعشرين عظة وميمر للبابا ثيؤفيلس . هذا غير بعض العظات الأخرى التى مازالت بالقبطية والحبشية ولم تظهر للنور بعد . وتركز العظات على أهمية سر الإفخارستيا فى حياة المسيحى وأهمية حضور القداس وعن الدينونة والعناية الإلهية والتوبة والزهد والدموع والاعتراف بالخطايا ... وميامر عن نياحة السيدة العذراء وعن زيارة العائلة المقدسة لمصر وإقامتها فى جبل قسقام وتدشين كنيسة الملاك روفائيل وكنيسة الفتيه الثلاثة بالإسكندرية [**ويذكر كتاب الرهبنة القبطية ص ٥٤٦ أن ميمر الثلاثة فتيه كان يقرأ فى دير أبو مقار**] وميامر عن الملاك ميخائيل ويوحنا المعمدان

والقديسين بطرس وبولس . ومعجزات للقديس جورجيوس (مار جرجس) وبعض عظات إنجيلية منها : عظة عن المولود أعمى وعن المرأة الخاطئة التى غسلت قدمَّي الرب .. وعن شجرة التين .

جـ ــ أعمـال أخـــرى :

ذكر جناديوس Gennadius أن البابا ثيؤفيلس كتب الآتى :

١ ــ مجلداً ضخماً ضد أوريجانوس ، أدان فيه كل أقواله تقريباً بردود لاهوتية ، معتبراً إن أوريجانوس غير أصيل فى آرائه . ويقول اللاهوتى المعاصر كواستن J. Quasten إنه من المحتمل جداً أن يكون هذا المجلد هو مجموعة الرسائل الفصحية والمجمعية التى كتبها البابا ثيؤفيلس ضد الأوريجانية .

٢ ــ كتاباً ضد الهراطقة الذين قالوا إن الله له شكل أعضاء بشرية ، وفيه يُفحم ويفنّد هذه الهرطقة فى مناقشة طويلة بأدلة وبراهين كثيرة من الكتاب المقدس . (Against the Anthropomorphites) .

+ وثق الإمبراطور ثيؤدسيوس الكبير ثقة كاملة فى البابا ثيؤفيلس وكان يجلُّه ويحترمه لدرجة أنه كلفه بتصليح ما وقع من خلل فى مسألة عيد الفصح . فإنه فى سنة ٣٨٧م صار الفرق بين العيد المصرى والعيد الرومانى مدة خمسة أسابيع كاملة . فوضع البابا ثيؤفيلس تقويماً للأعياد لمدة ٤١٨ سنة ووضع جدولاً يحتوى على الأيام التى يقع فيها عيد الفصح لمدة مائة سنة ابتداء من سنة ٣٨٠م ولا تزال صورة هذا التقويم باقية إلى يومنا هذا وفيها أوضح البطريرك أن السيد المسيح صلب فى الخامس عشر من شهر نيسان (أبريل) لا فى الرابع عشر منه ثم وضع هذه القاعدة وهى إنه (إذا كان اليوم الرابع عشر من الشهر القمرى يوافق يوم الأحد فعيد الفصح يتبعه بأسبوع) .

(Gennadius: Lives of illustrious men, chap. XXXIV)

+ كتب أيضاً سلسلة فى شرح الكتاب المقدس .

+ ويعرف عنه أقواله المأثورة مع الرهبان [كما ذكر فى صـ ٥٥ وما بعدها] .

د ــ القوانين الكنسية :

+ كتب البابا أربعة عشر قانوناً منها :

١ ــ ما يخص رجال الإكليروس وشروط سيامتهم ...

٢ ــ الاعتناء براحة الأرامل والفقراء والمسافرين ولا يجوز لأحد أن يحتجز شيئاً من أموال الكنيسة لنفسه .

٣ ــ عندما يقع برمون الغطاس فى يوم الرب (يوم الأحد) يؤكل فيه شىء من الأثمار حتى لا تقع فى بدعة عدم تكريم يوم الرب ولكن لا نهمل الصوم كل الإهمال فلنمتنع عن أكل أى شىء بعد ذلك حتى صلاة المساء (الساعة التاسعة أى الساعة الثالثة بعد الظهر) .

٤ ــ بالنسبة لخبز الأولوجية فإنه بعد تناول الأسرار المقدسة يوزع على رجال الإكليروس والإخوه المؤمنين الحاضرين فى الكنيسة ولا يجوز للموعوظين أن يذوقوا شيئاً منه .

+ وللبابا بعض من الأقوال القانونية التى ذكرت فى مجمع القسطنطينية الذى حضره سنة ٣٩٤م مع نكتاريوس بطريرك القسطنطينية .

نصوص من عظات وأقوال البابا ثيؤفيلس

مناجاة ... لأجل التوبة :

✠ عندما نسلم أنفسنا للصوم والصلاة والسهر الكثير وصلوات المساء فنحن فى الواقع نصلب أجسادنا وأنفسنا كما علَّم الرسول بولس قائلاً : **فأميتوا كل أعضائكم التى على الأرض الزنا النجاسة** ... (راجع كو ٣:٥) . فيأتى ملاك التوبة ويقلع الزروع التى بذرها الشرير ويزرع مكانها ثمار الروح التى هى **محبة .. فرح .. سلام .. طول أناة** ... إلخ (راجع غلا ٥:٢٢) . عندئذ تدخل التوبة فوراً وبسرعة إلينا وتملأ كل أعضائنا وتطهرنا من كل خطايانا وستحرق منا كل عجرفه القلب وكل غضب وكل شر .. وكل شيء خاطىء وكل فكر أو تذكار للشر وبذلك تجبر الفضائل الروحية على الحضور وتدخل مسرعةً الى أرواحنا وتزرع كل فضيلة منها فى مكانها المناسب . وفى الحال يُقتَلعَ الغضب ويُزرَع مكانه وداعة القلب ، كما تُقتَلعَ كبرياء القلب ويُزرَع مكانها اللطف والاتضاع ، كما يُقتَلعَ التخاصم والعداوة ويُزرَع مكانه روح السلام . فستهرب منا روح العداوة والكراهية مطرودة من قلوبنا وستُتَوَج رؤوسنا بالسلام والحب . كما ستطهرنا من إهمالنا وكسلنا وستنهضنا للصلاة والسهر والتأمل فى المزامير والتسابيح بالتراتيل الروحية .

تأملوا أكثر معى أيها الأخوة فى هذه التوبة . ولاحظوا مقدار عظمة الثمار التى تتأصل كاملاً بالحنان والاشتياق عند غرسها فى التائب .. وكيف إنها تجعل كل الأعضاء تزدهر وتزهر كالشجرة المغروسة على مجارى المياة .

أيتها التوبة ما أعظم تعزياتك .. إنك الفرح الكائن فى الحزن .. أنت السرور الكائن فى الدموع .. إن ثمار التوبة تنمو بالكامل بقوة الروح .. فحتى إذا صمت الإنسان الذى تاب ، فإن ثمار الروح تصبح واضحة على وجهه .

أيتها التوبة . إنك توبخين كل إنسان بأعظم لطف ورقّة بكلامك العذب وبسلوكك وتصرفك الهادىء . لأنك أنت التى أشرت إلى الطريق [طريق الجهاد والألم] لكل القديسين .

وأكثر من ذلك تعالوا ياإخوتى وزينوا توبتكم بزينة الصوم وعطّروها بعطر صلواتكم وتوّجوها بمذلة وهوان بسكب الدموع ــ دموعكم ــ حتى إذا كانت هناك فضائل روحية أخرى لا تظهر فى جمال الزينات التى تزينا بها توبتنا فإنها [هذه الفضائل] غير الموجودة ستجتمع معاً وتأتى وتفرح مع إخوتها الموجودة فعلاً فى النفس . وأكثر من ذلك فإن هذه الفضائل عندما تسكن فى قلوبكم فإنها ستجعلكم بدون خطية .

هل يوجد من لا يريد أن يكون صديقاً للتوبة ويجعل من نفسه غريبا عن كل هذه الأشياء الشريرة التى تعمى عيون القلوب فلا تبصر النور العظيم ؟

التوبة تجعل الإنسان يبسط أجنحته كالنسر وتجعله ينفذ إلى علو السموات بواسطة فضائلها الروحية .

والآن ... فإن من تاب وتدرب على الاحتمال فإنه بشوق ينتظر [فى جوع وعطش حقيقيين] الأشياء السماوية الدائمة إلى الأبد « **لذلك يا أحبائى لنُخضع أجسادنا بالصوم وبالصلاة وبالسهر حتى يمكننا أن نتمتع بتحقيق وعده عن الأشياء التى فى السموات إذ قال « أنتم الذين ثبتوا معى فى تجاربى وأنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتاً ، لتأكلوا وتشربوا على مائدتى فى ملكوتى وتجلسوا**

على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الأثنى عشر » راجع (لو ٢٢ : ٢٨ ــ ٣٠) » .

وأكثر من ذلك يجب أن نفهم يا أحبائى مقدار عظمة وكرامة الشخص التائب وحالة التوبة .. ويجب أن نفهم مواهب النعمة التى تعطيها التوبة لنا .

أيتها التوبة أنت الطعام للجائع ونبع الماء الحى للعطشان ــ أيتها التوبة أنت عزاء أولئك الذين يسهرون الليل مصلين ، أنت التى تزينهم بثمار آلامهم وعنائهم أيتها التوبه إن الدموع التى تسببينها هى سعادة وعطر ملائكة الله .. أيتها التوبة أنت المنجدة والمنقذة لأولئك الذين أسلموا أنفسهم الى اليأس . لنتأمل فى الشركة والصداقة التى قامت بين التوبة وبين أهل نينوى عندما دعتهم إليها بسبب محبتها للإنسان .. عندما استجابوا إليها بسرعة وفى اتضاع ومذلة ودموع ومسوح .. فلم يكن الرجال فقط هم الذين لبسوا المسوح بل الماشية والأغنام أيضا . وعندما رأى الله القدير الطيب الرحوم محب البشر ، مثل هذه الثمار فى يد التوبة وقد ألقتها أمام عرش الرحمة فلم يدمر المدينة .

والآن أيها الأحباء لا تتركوا التوبة ، لأنكم ماذا تجدوا ما يزينكم [ويعزيكم] فى آلامكم مثل التوبة . ليس هذا فحسب بل بالعكس لنعطيها التكريم من أجل الخيرات العظيمة التى تجلبها علينا من الأعالى وأكثر من هذا .. من أى نوع يا ترى هذه الخيرات العظيمة التى تحدرها (تنزلها جذباً) لنا التوبة من الأعالى ؟ وأيضا من أى نوع هذه الأشياء التى سنعطيها لها فى المقابل ؟

« إننا سنعطى الصوم والصلاة النقية ورفع الأيدى ورفع القلوب الى السماء . نعم .. أعطوها الاتضاع والتنهدات التى بواسطتها يصبح الناس مشابهين للملائكة . أعطوها الدموع التى ستكون غزيره عندما نتذكر نار جهنم . أعطوها الإيمان والرجاء اللذين يدفعا الإنسان الى الاقتراب الى الله .

أعطوها الرحمة والحب ولنظهرهما نحو بعضنا البعض وأعمال المحبة والخير التى تستر كثرة من الخطايا وتمحوها محواً فى الدينونة . وأكثر من ذلك كله . وبعد كل ذلك لا يخدع أحدٌ نفسه ويعود الى نجاسة الخطية بعد التوبه كالكلب العائد الى قيئه ـــ لأنه يتنجس » .

✠ ما أشد الرعب وما أعظم الضيق الذى يأتى على النفوس فى اللحظة التى تخرج فيها النفس (المقصود الروح) من الاعضاء (من الجسد) .

.. فى تلك الساعة ستلقانا أحلك ظلمة وسيأتى على عيوننا ظلام الليل وسيُحجب عنا كل نوع [**فى الترجمة الحرفية ذكرت : وسينشر الظلام نفسه فوق كل نور**] وستجزع قلوبنا كثيراً بسبب تلك الكائنات التى ستأتى علينا وبسبب الرعب من أشكالها التى ستشل حركتنا . وبسبب منظر وجوهها المرعب وبسبب صرير أسنانها وبسبب الغضب فى عيونها وأرتعادها وزئيرها وانقضاضها فوقنا لأنها تريد التهامنا . وكل الأشكال والصور التى لها .

وعندما نرى كل ذلك أمامنا ـــ فماذا سنقول ؟ أو بماذا ننطق ؟ أو بماذا ستعلن أفواهنا ؟ وإلى أين نهرب ؟ أو أين نختبىء ؟ سيكون مستحيلاً فى تلك اللحظة أن نهرب من أيديها ـــ كما سيكون مستحيلاً الهرب إلى أى مكان لا يوجد فيه وجه الله ـــ لأنه مكتوب « **أين أهرب من وجهك وإلى أين أختفى من رحمتك (روحك)** » (مز ١٣٩ : ٧) ولذلك فلنعرف العلاج حتى يمكننا أن نشفى أنفسنا من هذا المرض الرهيب . ذلك العلاج الذى بواسطته يمكننا أن نحمى أنفسنا أثناء التجربة التى هى عظيمة بهذا المقدار فلا فضة ولا ذهب ولا مقتنيات ولا ثروات يمكنها أن تفعل ذلك فليس شىء من هذه يمكنه أن يعمل على شفائنا ـــ بل ولا كل العالم وكل ما فيه سيمكنه أن يمدنا بالقوة ـــ فلن نجد دواء يمكنه أن يشفينا سوى الصلاة والصوم والاتضاع لأن هذه هى الأشياء التى لها القوة لتستر وتحمى أنفسنا فى ساعة حاجتها وشدتها .

✠ « إنه أمر رهيب أن يقع الإنسان فى مكان لاخلاص منه كما هو مكتوب من لا يخاف الله سيكون فى الأماكن التى يستحقها ولن يخلص منها الى الأبد ، ما أبأسها حاله ، وفى أى حالة سنقف فى موقف الدينونة » .

.. أنتم يا من حملتم الأسماء المقدسة للكهنة والرهبان والذين رغم ذلك عاملتم وصايا الله باحتقار . إن الخطاة الذين سيتحملون الألم هناك سيلعنوكم وسيقولون لكم : كان ضرورياً لنا [اى : **سهل علينا**] أن نرتكب إلاثم لأننا كنا منشغلين باهتمامات أعمال الحياة ، وقد قادتنا أخطاء طبيعة أجسادنا بعيداً . أما بالنسبة لكم . فماذا تفعلون أنتم فى هذا المكان ؟ ولماذا تقاسون هذه العقوبات التى لا نهاية لها . ألستم أنتم الذين لبستم ثوب القداسة فى العالم ..

ما أشد الخزى فى ذلك العالم الآخر لأنه خزى بلا نهاية . بل دائم إلى الأبد .

أيها الأحباء .. إننى أتوسل إلى الله أن لا يسمح لنا بمثل هذه الحالة الشديدة البؤس . ولنسع ضدها من الآن بكل قوتنا حتى نحصل على هذا المجد العظيم الذى فى العالم الآخر .. حيث يصطف جميع القديسين .

صلوا أيها الإخوة حتى نحصل على هذا المجد لأنه هو المجد الحقيقى الذى يدوم إلى الأبد .

لنتب إذن أيها الأحباء .. لنبكِ أمام المخلص كل حين .. حتى يأتى صوته إلينا فى فرح قائلاً : « **مغفورة لك خطاياك** » (**مت ٩:٢**) . لأن سكب الدموع .. دموع التوبة تجعل حنان الله يتعطف عليكم فيظهر رحمته عليكم . وسكب الدموع .. دموع التوبة يجعل الروح القدس يدخل بسرعة ويحل فى الإنسان ساكناً فيه . وبسكب دموع التوبة .. يجعلكم الله خليقة جديدة مرة ثانية ــ كما يعيد إليكم ثمار الاحتمال الذى يمنح الصحة والسعادة . ولأن سكب

الدموع لا يتم دون تحول القلب ـــ الأمر الذى لايحدث فى أولئك الذين يقضون حياتهم فى الخلاعة والمزاح والنكات . كما لا تزدهر التوبة فى الإنسان المملوء كسلاً لكنها تزدهر عن طريق احتمال الصوم وإغاظه أو مناكده [Vexing] الجسد ـــ فيصبح قلبك فى حالة إتضاع . فتسعى وراء التوبة وستنهد وتئن بسبب خطاياك .

ولذلك يا أحبائى لتشجع ولنسهر لأن خصمنا يجول كأسد زائر يلتمس أن يبتلع النفوس ـــ كما يريد أن يجعلنا غرباء عن هذه الأشياء الكريمة . طوباهم إذن أولئك الذين يقاومونه بثبات فى الإيمان لأنهم هم الذين سيقبلون المجد مع الرب يسوع كما قال « **أنتم الذين ثبتوا معى فى تجاربى ، أنا أجعل لكم كما جعل لى أبى ملكوتاً لتأكلوا أو تشربوا على مائدتى فى ملكوتى وتجلسوا على كراسى تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر** » راجع (لو ٢٢:٢٨ــ٣٠) .

طوبى إذن للذى يحتمل الآلام فى الجوع وفى الصلاة وفى سهر الليالى وفى التنهد لأن المسيح سيمجده وسيأكل ويشرب فى ولائم القديسين بوجه مكشوف .

طوبى للإنسان الذى أظهر نفسه كإنسان متحنن محب للغرباء فى محبة الله .. لأنه سيستمتع بالتعزيات فى حضن إبراهيم فى ملكوت السموات . طوبى للإنسان المبتل بالدموع التى ذرفها من أجل خطاياه التى اقترفها لأنه سيهرب من مكان البكاء وصرير الأسنان .

طوبى للإنسان الذى حزن من أجل خطاياه لأنه سيفرح مع الله وملائكته فى ملكوت النور . طوبى للإنسان الذى أعطى خبزه للجوعان لأنه سيشبع من خبز الحياة فى السموات .

طوبى للإنسان الذى كسى العريان لأن خطاياه ستستر فى يوم الدينونة .

طوبى للإنسان الذى أظهر الرحمة للفقير لأن الرحمة سيظهرها صاحب الرحمة له ، وسيحسب مستحقاً أن يسمع هذه الكلمات المملوءة فرحاً : « **تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم** » راجع (مت ٢٥:٣٤) وأيضا يقول « **من سقى أحد هؤلاء الأصاغر كأس ماء بارد باسمى فإنه لا يضيع أجره** » راجع (مت ١٠:٤٢) .

« طوبى لمن يصفح عن جاره أو أخيه عندما يخطىء اليه . لأنه إن فعل ذلك فإن أعمال الإساءة لكل إنسان ستمحى وتزول . طوبى لأولئك الذين يذهبون الى الكنيسة صباحاً ومساءً يومياً وخاصة أيام التناول من الأسرار المقدسة [جسد ودم الرب يسوع المسيح] لأنه بواسطتها يصبح الإنسان متحداً بملائكة السماء وسيراهم وجهاً لوجه وسيجيب معهم فماً لفم فى تسبيحاتهم « هلليلويا » .

ولذلك ياأ حبائى يجب ألاَّ نعطى نوماً لعيوننا أو نعاساً لأجفاننا لا بالنهار ولا بالليل حتى نهرب من كل شر لأن العدو يتربص بنا وهو يأتى إلينا بالعديد من الخطايا المزخرفة المتقنة الصنع . فإذا لم يأتِ فى الإهمال ففى الجهل ، وإذا لم يأتِ فى العجرفة وكبرياء القلب ففى الغضب وإذا لم يأتِ فى الغرور أو المجد الباطل ففى الزنا واذا لم يأتِ فى التوانى ففى الكراهية والحقد .. وإذا لم يأتِ فى الزنا ففى الشكوى والتذمر وإذا لم يأتِ فى السرقه ففى اليمين الكاذب . وإذا لم يأتِ فى العواطف الهوجاء أتى فى الأفكار الشريرة .. وبالأختصار فإن الشيطان لن يكف عنا .. فهو يلقى شباكه لنا فى خطإ القلب ، ويقودنا بمكر ودهاء إلى أحكام دينونة خاطئة ، أو يرسل الإهمال مثلاً والجحيم مملوء عن طريق الإهمال . لذلك دعونا نضع فى أذهاننا ونحن نقاتل فى هذه المعارك مختلف هذه

الخدع التى ينصبها العدو أمامنا .. فلنتمنطق بدرع البر الذى هو الصلاة والصوم والطهارة والسلام والحب والاتضاع والبر وحب بعضنا لبعض ... والنقاش المهذب مع كل إنسان فى خوف الله ــ لأنه بواسطة هذه جميعها ستمكننا ان نقاتل ضد الخداع والكلام الباطل المنحل وخاصة دعونا نخشى دينونة الله الرهيبة .. « **ولنطرح عنا أعمال الظلمة ولنلبس درع النور** » راجع (رو ١٢:١٣) حتى نلبس زى القديسين الذى فى السموات ... زى أبناء النور بواسطة يسوع المسيح ربنا الذى له المجد مع أبيه والروح القدس من الآن وإلى كل الدهور إلى الأبد آمين .

عن احترام بيت الله :

✵ انظروا إلى الذين يطلبون منزلة عند الملك الأرضى كيف يبذلون المجهود ويلازمون خدمته صباحاً ومساءً ويسألون من هو قريب الى الملك ليشفع لهم عنده حتى يصبح لهم منزلة فى هذه الدنيا الفانية ... فكم يكون للذى يريد المنزلة العالية عند ملك الملوك ورب الأرباب وإله الآلة ؟! هل يتكاسل عن حضور القداس .. وإذا حضر هل يتشاغل بالحديث بكلام باطل لأمور الدنيا الزائلة ؟ ويشغل الحاضرين عن الصلاة والتضرع لخلاص نفوسهم فى الكنيسة المقدسة التى هى بيت الله ومجمع الملائكة الأطهار ؟ وبذلك تكون أيها الإنسان تزداد خطايا ، أم تطلب من الرب الصفح وتنصت الى الكاهن الواقف ناصباً يديه ليطلب من الرب من أجل خطاياك . فتساعده أيضاً فى الطلب عنك ليغفر الرب ذنبك ويقبل قربانك .

إنظر إلى المائدة السمائية ، حيث جسد الرب المقدس ودمه الكريم الذكى الذى هرق عن خطايانا .. إنهما من أجلك أيها الخاطىء ... أمَا تنظر إلى البخور الصاعد إلى السماء من أجلك . والكهنة مبتهلون حول المائدة المقدسة ،

وطغمات الشاروبيم والسارافيم واقفون غير منظورين منا باسطون أجنحتهم بالتسبيح ، وجميع القوات السمائية التى لاجسم لها صارخون مع الكاهن من أجلك أيها الخاطىء والروح القدس حال على الذبيحة الالهية . وهو غير منظور ...

أمَا تخجل وتستحى وأنت نسيت ذاتك أثناء وقوفك فى الكنيسة المقدسة بدون وقار وبلا مخافة من الله . فبأى ضمير نقى أو قلب طاهر تتقدم الى السرائر الإلهية ؟ هل تستطيع أن تلمس ثوب ملك ويدك غير نقية فكم يكون لملك الملوك .. وسلطان السلاطين .. وإله الآلهة ، فكيف تتقدم إذن لتأخذ سرائره المقدسه وأنت غير طاهر الفكر ..؟

فلا تعتقدوا أن هذا القربان المقدس يجرى مجرى الطعام بل يدخل إلى معابر الروح والنفس وتتقدس به الأعضاء .

فإذا تقدمتم لتأخذوا من جسده السمائى الذى جعله لغفران الخطايا فلا تعتقدوا أنكم تأخذونه من يد الكاهن المسكين فقط بل من يد رؤساء الملائكة الأطهار الحاضرين معه فى سر الأفخارستيا .

انظروا الى أشعياء النبى : حيث أخذ ملاك الرب جمر من نار بكلابتين من حديد ولامس بها شفتيه وقال له ها قد انتزعت خطاياك منك . فلهذا إذا أنتم تناولتم القربان المقدس فيجب أن تؤمنوا بإنه جسد الرب المقدس ودمه الكريم الذكى الخارج من جنبه الإلهى المهرق عن خطاياكم .

فإن قال قائل منكم : كيف يصير الخبز والخمر لحماً ودماً ؟ أجبته قائلاً الكلمة التى قيلت للتراب كن أدم فكان هى تغير الخبز والخمر إلى أن يصير لحماً ودماً .. وكما أمرت كلمة الله نيل مصر ، بأنه إذا أخذه عبرانى ، كان

ماءً بارداً ، وإذا أخذه مصرى صار دماً خالصاً . لذلك الكلمة تنقل الخبز والخمر إلى أن يصير دمه الكريم وجسده المقدس . وكما أظهر الله كبشاً لأبينا إبراهيم حتى فدى به ولده إسحق ، هو الذى يصيّر التقدمة لحماً ودماً روحانياً .

وكما حوَّل السيد المسيح له المجد الماء خمراً فى عرس قانا الجليل بسلطان لاهوته كذلك فإنه يحول الصعيدة المقدسة الى هذا الكيان . والكلمة التى قيلت للأشياء جميعاً كونى فكانت هى التى تصيِّر الذبيحة مقدسة روحانية .

وقد قال السيد المسيح له المجد لتلاميذه الأطهار وقت تناول العشاء السرى حيث كسر خبزاً وبارك وقال خذوا هذا هو جسدى كلوه مغفرة لخطاياكم .. وأخذ الكأس وقال هذا هو دمى الذى للعهد الجديد المسفوك عن خطاياكم .

وأنا أطلب إليكم يا إخوة أن تقفوا بخوف الله وقلب نقى وعيون شاخصة إلى معدن الرحمة بغير حديث ، ولا تتشاغلوا ، صاغين لما يقوله الكاهن . ولا تتهاونوا فى ساعة القداس فإنها مرهوبة جداً ، بل تكونوا ممجدين شاكرين طالبين من الله بخوف ورعدة مجاوبين الكاهن والشماس الطالبين عن نفوسكم .

ولا تدينوا بعضكم بعضاً فتخرجوا وأنتم خاسرون ، فالواجب عليكم أن تقفوا مرعوبين خائفين ساجدين الى الأرض ، رافعين نفوسكم إلى العلا بتنهد وعبرات وأن تدقوا صدوركم مبتهلين إلى الذى بذل جسده المقدس ودمه الكريم الذكى من أجلكم .

انظروا يا إخوتى إلى الذين هم وقوف قدام الملك الأرضى أو وقوف قدام من هو دونه فى المرتبة ، كيف هم وقوف بخوف وأدب ؟ لا يتحركون ولا ينطلقون من موضع الى موضع .. لكنهم قيام بجزع وهيبة كالحجارة الجامدة .

فلنوبخ ذواتنا . وأقل سبيلنا أن يكون وقوفنا أمام الله تبارك اسمه كوقوفنا قدام الملك الأرضى .

فلن اكف عن تكرير هذا القول لجماعتكم مراراً كثيرة حتى أراكم قد أقبلتم اجتهاد فى طلباتكم وقت وقوف الكاهن أمام مذبح الله ويسمع تنهدكم ، ودق صدوركم زفرات قلوبكم . والتضرع لغفران خطاياكم ومحو ذنوبكم . ونتفكر يا إخوة فى كل وقت ونجعل عقولنا عند ذلك النار الدائمة وموضع العذاب المخلد والعقاب الدائم حيث البكاء وصرير الأسنان والنار التى لا تطفأ والدود الذى لا ينام .. هذا هو زمان التوبة والغفران .. هذا أوان الجهاد والعمل .. هذا زمان الصلاة والصوم والصدقة والرحمة والمحبة .

عن الاستعداد للقاء الرب يوم الدينونة :

❁ يا إخوة هذه الدنيا فانية .. والأخرى باقية بلا زوال . ليس توبة بعد الموت فما فعلته فى هذه الدنيا من خير كان واصلاً الى الله وحاصلاً لك عنده . إن افتقدت مريضاً أو محبوساً افتقدك الله برحمته فى كل وقت وساعة . وإن آويت غريباً يأويك الله فى ملكوته السمائية وإن أعطيت صدقة لمسكين أعطاك الله من خزائنه المليئة وإن رحمت يتيماً أو أرملة يرحم الله أيتامك ويعولهم . وإن سقيت فقيراً ماءً يسقيك الله من ماء الحياة الذى لايزول . وإن كسيت عرياناً من قماشك ولو العتيق يلبسك الله الحلل النورانية . وإن صنعت الخير مع من يأتى اليك وغفرت له يغفر الله لك خطاياك .

فما ينفع مال ولا ولد ولا أب ولا أخ ولا صديق ولا هدية تقبل عند وقوع الحساب والعقاب ، لأن قاضى العدل حاضر يعرف السر والعلانية ويجازى كل واحد على قدر عمله خيراً كان أو شراً . وأنا أطلب إليكم يا إخوة أن تسمعوا كلامى هذا بأمانة وخوف وكما عشنا فترة طويلة فى خدمة جسدنا الخاطىء

هذا فلنعش بقية حياتنا فى خدمة الروح القدس ونطلب التوبة بقية عمرنا قبل الموت .

وإن كانت نفوسنا متعظمة علينا ولا نملكها فلنخرج إلى القبور وننظر ما فى بواطنها ، فلن نرى ألا أجساماً بالية وعظاماً منحولة وروائح كريهة .. إنه منظر يهز العقل ويحيِّر الجاهل ويحطم قوته ويكسِّر المتجبر ويذل قلب الحقود . فإن كنت حكيماً وفطناً ، فميز بعقلك وعرفنى من فى هذه القبور ؟ من ؟ الملك والحكيم ، الشريف ، الضعيف ، الفقير ، الغنى ، الحر ، العبد ؟ فهل تقدر أن تعزل الحكيم من الملك والضعيف من الشريف . والغنى من الفقير والعبد من الحر والصالح من الطالح والصبى من الشيخ ؟ أين الجمال من الرجال والنساء ؟ أين الوجوه الحسنة أين اللسان الطلق ؟ أين القامة المستقيمة ؟ قد صار ذلك جيفاً وأنتن . وإذا تفكرنا فى ذلك وتذكرنا اليوم الأخير المرهوب المخوف والساعة المفزعة ... والحاكم الذى لا محاباة عنده فلنرجع الآن الى واهب هذه الحياة . مادام لنا وقت وزمان فقد اشترانا بدمه الكريم وجسده المقدس .

اعلموا يا إخوة أن كلمة الله ظهرت من أجلنا نحن الخطاة ـــ واتضع غاية الاتضاع إلى الهزوء والضرب والسب والبصاق وتسمير اليدين والرجلين على خشبة الصليب المجيد وذاق الخل والمرارة واستهزأوا به وتحمل اللطم والهوان . وذاق الموت من أجلنا . وقبر وقام من بين الأموات . وصعد إلى السموات وجلس عن يمين الآب وسوف يأتى فى مجده العظيم وملائكته القديسين ليدين الأحياء والأموات ويجازى كل واحد كنحو أعماله خيراً كان أو شراً .. وهو لا يأخذ بالوجوه ولا يحابى فى الحكم ، « **ويجلس على كرسى مجده ويجمع إليه كل الأمم فيميز بعضهم . كما يميز الراعى الخراف من الجداء ويقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره حينئذ يقول للذين عن يمينه تعالوا إلىَّ يا مباركى أبى رثوا الملك المعدّ لكم من قبل إنشاء العالم . لأنى جعت فأطعمتمونى**

وعطشت فسقيتمونى وكنت عرياناً فكسيتمونى وغريباً فآويتمونى ومريضاً فإفتقدتمونى ومحبوساً فأتيتم إلَىَّ . حينئذ يجيب الصديقون ويقولون يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك .. أو عطشاناً فسقيناك .. أو متى رآيناك غريباً فآويناك ... أو عرياناً فكسوناك .. أو متى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك .. فيجيبهم الملك قائلاً : الحق أقول لكم إن ما فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الصغار فبى قد فعلتم . حينئذ يقول للذين عن يساره أذهبوا عنى يا ملاعين الى النار المؤبدة المعدّة لإبليس وجنوده . لأنى جعت فلم تطعمونى وعطشت فلم تسقونى وغريباً كنت فلم تأوونى . وعرياناً كنت فلم تكسونى ومريضاً ومحبوساً فلم تزورونى . حينئذ يجيبون ويقولون : يارب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوساً فلم نخدمك .. فيقول لهم : الحق أقول لكم بما إنكم لم تفعلوا بأحد هؤلاء الصغار فبى لم تفعلوا . فيذهب هؤلاء إلى العذاب الدائم والصديقون الى الحياة الأبدية » راجع (مت ٢٥:٣١ــ٤٦) .

فانظروا يا إخوتى ما أعظم فخر الرحمة فى الدينونة كما يقول الرسول « **إن الرحمة تفتخر فى الدينونة** » راجع (يعقوب ٢:١٣) فأصنعوا الرحمة مع كل أحد . ولا تملوا من فعل الرحمة . لكى تأخذوا الرحمة من صاحب كنوز الرحمة . هذا الذى ينبغى له المجد والإكرام مع أبيه الصالح والروح القدس الرب المحى المساوى الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين .

نياحتـــه

تنيح البابا ثيؤفيلس يوم ١٨ بابة سنة ١٢٩ش الموافق ١٥ أكتوبر سنة ٤١٢ ميلادية (حسب التقويم السائد فى ذلك الوقت) تاركاً ميراثاً أدبياً وأعمالاً مجيدة تشهد عن عظمة هذا البابا القديس .. وكان قبل نياحته بقليل عندما أوشك على مغادرة هذا العالم ، تفوه بقوله المأثور :

هنيئاً لك يا أرسانيوس لأنك كنت تتذكر هذه الساعة دائماً .

هذا الأب العملاق فى الإيمان ـــ تنيح بعدما أعدَّت السماء على يديه رجلاً عظيماً ، وهو ابن أخته البابا كيرلس عمود الدين ، حتى يكون جديراً لاستلام راية الإيمان من بعده ...

فتجلت بذلك حكمة السماء ، وهى أن لا ينقطع ينبوع الإيمان الحقيقى . ويستلمه البابا ثيؤفيلس من البابا أثناسيوس (٣٢٦ ـــ ٣٧٣م) (الذى دافع عن الإيمان الحقيقى ضد أريوس) ويسلِّمه البابا ثيؤفيلس إلى البابا كيرلس عمود الدين (٤١٢ ـــ ٤٤٤م) (الذى دافع عن الإيمان الحقيقى ضد نسطور) .

حاشيـــة :

هذا الأسلوب الآبائى ـــ الذى بدأ منذ عصر الرسل ـــ فى التسليم العقيدى من جيل إلى جيل ومن سلف إلى خلف . أصبح عبر العصور هو الأساس المعيارى الحقيقى لضبط مبادىء الإيمان السليم والعقيدة الصحيحة .

دراسة تحضيرية :

مشاكل عصيبه فى حياة البابا ثيؤفيلس

بالرغم من كل تلك الأقوال المأثورة والأعمال الجليلة التى للبابا ثيؤفيلس وذلك السلام الذى دب فى ارجاء مصر لتملك أباطرة مسيحيين على العرش الامبراطورى . إلا أنه حدثت مشكلة معقده فى الفتره بين (٣٩٩ إلى ٤٠٤م) تتلخص فى الآتى :

١ ــ ظهور هرطقه فى وسط رهبان الأسقيط بسبب بساطتهم وهذه الهرطقه هى Anthropomorphites « تصور شكل الله الانسانى » .

٢ ــ ظهور الاوريجانية وأنتشارها فى نتريا .

وبالنسبه للمشكله الأولى :

حاول البابا أخمادها ولم يدم الهدوء لفترة طويلة إلا وجاءت غارة البربر ــ عام ٤٠٧م ــ على شيهيت والتى استشهد فيها الانبا موسى الأسود وسبعة رهبان أخرين .

بالنسبة للمشكلة الثانية :

فإن الأوريجانية أنشغل بها آباء الكنيسة فى القرن الرابع وكان بعضهم يأخذون من أفكارها ويستبعدون أخطاءها . حيث تفيد فى الدراسات الفكرية

وفلسفة التحليل الرمزى فى تفسير المعانى الغامضة فى الكتاب المقدس وتشبع ملكة العقل الفلسفى .

ولكن لأن الرهبنة منذ أن نشأت فى البرارى والقفار وهى مؤسسة على أسس أنجيليه فى بساطة الايمان الحقيقى مع الجهادات النسكية (حسب المقدره) كما أنها لا تعتمد على التفاعل الفكرى والتشعب الفلسفى فى عقلانية المنطق الروحى لذا فأن تسلّل الاوريجانية الى الرهبنة لهو منطلق جديد لا تألفه حياة الرهبنه البسيطه فى ذلك الوقت والتى عاشها أباء البريه العظام مثل الأنبا أنطونيوس — الانبا مكاريوس و ... وغيرهم .. وكما أن جماعة الشركة الرهبانية التى أنشأها الانبا باخوميوس رفضت الكتابات الاوريجانية بشده وكان الانبا باخوميوس يمقت كتابات أوريجانوس ويعتبرها إلحاد وتجديف وأنها مزجت الأقوال الشيطانية بأقوال الكتب الالهية الصادقة لتكون هلاكاً للجهله الذين لا حنكه لهم فى العلوم الروحية ، وهى مزيج من السم والعسل . وكان هذا القديس يوصى على الدوام كل أديرة الشركة بألا يقرأوا الكتب الأوريجانية . وفى ذات مرة وجد بعض الكتب فألقاها فى الماء حتى حُلَّت وقال إنه لو لم يكن فيها إسم الله لكان أحرقها بالنار . وفى مرة أخرى زاره بعض من الآباء المتوحدين فجلسوا معه يتناقشون فى بعض من أقوال الكتب المقدسة عن خلاص النفس ، فأشتم رائحه كريهه تفوح منهم فتحير للغاية ! وبعدما أنصرفوا دخل الى قلايته وطلب الى الله أن يكشف له سبب تلك الرائحة الكريهه .. فأذا ملاك أخبره بأن هؤلاء الآباء يضمرون فى قلوبهم بعضاً من تعاليم أوريجانوس والتى بسببها فاحت تلك الرائحه .... فأسرع القديس باخوميوس للقائهم وسألهم عما إذا كانوا يقرأون كتابات أوريجانوس لأنه علم من الرب بأن كل من تمسك بهذه الأقوال والكتابات فإنه عتيد أن ينزل الى الجحيم ويتكبد العذاب الأليم وحثهم الآب أن يهتموا بخلاص نفسهم وأرضاء الرب وإلقاء كل الكتب الاوريجانيه فى الماء وعدم قراءتها بعد .

[سيرة الانبا باخوميوس أب الشركة التى كتبت باللغة اليونانية وترجمت فى بعض المخطوطات باللغة العربية ــ والتى قام بتنقيحها وطبعها القمص عبد المسيح المسعودى سنة ١٨٩١ ميلادية ــ كما ترجمت إلى لغات عدة اهمها الترجمة الانجليزية الحديثة للراهب أرماند فيلليه سنة ١٩٨٠ تحت اسم

Pachomian Koinonia 3Volumes - 1980 - Michigan by Armand Veilleux]

ولما اعتنق البعض تلك الأفكار الجديدة تحول أسلوب الحياة النسكيه من مدرسة الجهاد لأجل الفضيلة الى مدرسة جهاد لأجل عقلانية التأمل الفلسفى الذى يلغى بساطة الحياة الرهبانية الحقيقية ومن هنا بدأت المشكلة . فقد تكونت جماعه فى منطقة نتريا (الأخوة الطوال) لقيادة هذه الافكار الجديدة بعد أن تشبعوا بها وعشقوها ونادوا بها فأمتلأت نتريا بهذه المدرسة الجديده . ومع انضمام كثير من الشخصيات الاجنبيه التى اندمجت فى ذلك الوقت فى هذا التيار أذداد التأثير السلبى على بساطة الروحانية القبطية [**الرهبنه القبطيه صـ ١٨١**] حتى صار تصدع خطير فى البناء النسكى .

وبلا شك كانت اخطر شخصية هى ايفاجريوس البنطى (أوغريس) الذى صبغ النسك الروحانى بالاوريجانية العقلية . (ولا يتسع المجال هنا لوصف أكثر من ذلك) ...

لذلك قام البابا ثيؤفيلس بهجوم عنيف على الاوريجانية واعتبرها هرطقه خطيرة ، وهو الذى كان متأدباً بكل الآداب الروحانية على يد أبيه القديس اثناسيوس الرسولى (على حد قول السنكسار القبطى ــ والمؤرخين الاقباط) فبلا شك أنه قد تمرس أيضاً فى تدبير شئون الكنيسة من خلال خبرة أبيه البابا أثناسيوس فى مواجهة عواصف الهرطقة الأريوسيه ... الذى ناضل ضد الباطل وكان حامياً للأيمان المسيحى فى العالم أجمع (لمدة ٤٥ عاماً) ومتشبعاً بأصول الرؤيا الروحية والمعرفه الحقيقيه فى لاهوت السيد المسيح له المجد ، من القديس العظيم الانبا انطونيوس ...

لذا فقد شبَّ البابا ثيؤفيلس رجلاً قوى الشخصية حازماً متمسكاً بالحق والأيمان ملتهباً بعمل النعمه التى جعلت منه شعله من الحماس المتوقد الممزوج بالحكمه والافراز الفائق . وبالرغم من هذه التى شهد لها الكثيرون (كما سيأتى بعد) إلا أنه مع طول أناته وصبره فى توجيه المحبين للأوريجانيه بواسطة الكتابات والرسائل (على حد قوله) ، صمم على حرم اولئك الرهبان وطردهم من نتريا (لتمسكهم بارائهم الاوريجانيه) فتوجهوا إلى القسطنطينية حيث قبلهم بطريركها القديس يوحنا ذهبى الفم (٣٩٨ ــ٤٠٧م) .

إلا أن هذا التصرف من القديس يوحنا ، جعل الصله بينه وبين البابا ثيؤفيلس متوتره . وتصاعدت المشكلة وازدادت تعقيداً بتدخل الملكه افدوكسيا منتهزة الفرصة للتخلص من القديس يوحنا لأنه كان يبكتها كثيراً على أخطائها وأخذ مال الأيتام . وخصوصاً إنها علمت عن طريق خاصتها الناقمين على القديس يوحنا ، انه قد عناها فعلا فى احدى عظاته « عندما وصفها بايزابل زوجة اخاب ملك إسرائيل التى أغتصبت كرم نابوت اليزراعيلى (ملوك أول ٢٢ : ١ــ١٧) (H.Zotenberg, chap, LXXXIV) ... ومن ثم فقد أنضمت هى الأخرى إلى فريق الحانقين . وذاد من حنقها ذلك الاشمئزاز الذى أبداه القديس عندما أقام زوجها الأمبراطور أركاديوس تمثالاً لها من الفضة فى أضخم ميادين العاصمة قبالة الكنيسة . ودشنه فى حفل كبير شهد مختلف انواع المجون والعبث . كما أن زهد القديس وتقواه ومحاولته العودة بالمسيحية إلى بساطتها الأولى وشنه حرباً عنيفة على الترف والبذخ والذى يرفل فيه بعض من رجال الدين المسيحى حتى غدوا ينافسون الأمراء فى ذلك هذا ما أثار عليه طائفه كبيرة من رجال الاكليروس .

لذلك ـــ وعلى حد قول المخطوطات القبطية :

+ مخطوطة سير بطاركة الكرسى الاسكندرى ليوساب أسقف فوه .

+ مخطوطة ٩٧ تاريخ بدير القديس الانبا انطونيوس .

+ ابن المكين فصل ١٥٢ .

فأن الملكة أرسلت إلى البابا ثيؤفيلس والقديس أبيفانيوس أسقف سيلاميس بقبرص (الذى كان دائماً ملتزماً بالرد على أى هرطقة والذى أعتبر أن أوريجانوس قد أفسد نقاوة الإيمان الحقيقى البسيط وادخل فيه الفلسفه الوثنيه لأنه فسرَّ بعض العبارات الحرفيه بمعانى رمزية فى الكتاب المقدس) **تهددهما بفتح أبواب المعابد الوثنيه والسماح لعبادة الأوثان ، إن لم يحرما القديس يوحنا ذهبى الفم** . فتألم البابا للغايه وأضطر مرغماً عنه أن يتوجه الى القسطنطينيه (عام ٤٠٣م) مع أساقفة ورجال من الأكليروس ، حيث كان قد سبقه اليها القديس إبيفانيوس وهناك فى القسطنطينيه لم يشاءا أن يقابلا القديس يوحنا ذهبى الفم ـــ بالرغم من الحاحه فى طلب مقابلتهما ـــ حتى لا تتعقد المشكلة . ولكن القديس أبيفانيوس لم يستمر فى القسطنطينية ولكنه رجع حيث تنيح فى طريق عودته إلى أيبارشيته . وبقى البابا ثيؤفيلس بمفرده وسط الزوابع الرهيبه التى ضد ذهبى الفم . والتى كانت من جانب الملكة ورجال البلاط والأساقفة الحاقدين والمطالبين بحرم القديس ! وأما الشعب كله فكان يطالب به .... فعقد البابا مجمعاً ... ونفى القديس ذهبى الفم ... تحت تهديد ووعد من الملكة . وبقى القديس فى نفيه حتى تنيح عام ٤٠٧م .

ولقد أفصح البابا ثيؤفيلس بعد تلك الاحداث (وبعد أن صفح عن الرهبان الاوريجانيين وسمح بعودتهم الى برية نتريا) عن تأثره وندمه على تورطه مرغماً فى أحداث قضية نفى القديس ذهبى الفم . والدليل على ذلك أن البابا كيرلس

عمود الدين الـ ٢٤ (٤١٢ ــ ٤٤٤م) والذى لازم خاله البابا ثيؤفيلس ككاتب وتلميذ له وعاصر تلك الاحداث الأليمه ... والذى كان يحب القديس ذهبى الفم ، ويقدر علمه وفهمه ويعتبره معلماً عظيماً فى الكنيسة ... لم يرفض طلب البطريرك أتيكوس بطريرك القسطنطينيه (٤٠٦ ــ ٤٢٦م) المملوء حكمة حينما طلب من الأمبراطور ثيؤدوسيوس لكى يكتب الى الرجل الحكيم القديس كيرلس بابا الأسكندرية ويطلب منه أن يسجل أسم القديس يوحنا ذهبى الفم فى الذبتيخة (H. Zotenberg, chap. LXXXIV)

[كان فى كل كنيسة لوحة ذات شقّين يكتب على أحدهما أسماء الأساقفه والاكليروس الأحياء الذين تحفظ صلة المراسله والشركة معهم ، وعلى الثانى أسماء المتنيحين من الأساقفه والاكليروس البارزين فى تلك الكنيسة أو غيرها من الكنائس ، وكان الشماس يقرأ هذه الأسماء للكاهن عندما يذكر الاحياء والأموات فى تقديم الذبيحه غير الدمويه وكانت هذه اللوحه تدعى باليونانيه الذبتيخه أى ذات الشقين]

ولقد روى بعض الكتاب الغربيين قصص مختلفه عن سبب قبول البابا كيرلس تسجيل أسم القديس يوحنا ذهبى الفم فى الذبتيخه إلا أنها غير مؤيده بمصادر موثوق فيها ... وننقلها هنا للقارىء (بدون تعليق) :

فقد قيل أن البابا كيرلس رأى رؤيا للسيدة العذراء تطلب من ابنها الحبيب أن يسامح كيرلس لظنه السىء بيوحنا ... فوافق السيد المسيح على طلبها .

وقال رأى آخر : إن البابا كيرلس رأى فى حلم القديس يوحنا ذهبى الفم فى الكنيسة مع جماعة من الملائكه متسلحين ويخرجونه خارجاً إلا أنه جاءت السيدة العذراء وتشفعت لأجل القديس يوحنا لتركه .

ورأى أخر مختلف عن السابقين فى ان الحادث لم يحدث فى الكنيسة ولكنه حدث فى الفردوس .

أن الامناء فى الكنيسة القبطية المخلصون لمسيحيتهم يسعون دائما إلى التسامح ، كما يشهد بذلك التاريخ الكنسى منذ نشأة المسيحية فى مصر ... وأن تسجيل اسم القديس يوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية فى مجمع القديسين بالقداس الإلهى قبل اسم البابا ثيؤفيلس بطريرك الاسكندرية ، لهو دليل قاطع على التسامح الحقيقى والمحبة المسيحية [بالرغم من أن اسم البابا ثيؤفيلس غير مذكور فى مجامع القديسين بالكنائس التقليدية الأخرى للسبب الذى سيذكر بعد] .

أما تلك الحوادث المريره التى حدثت فى القسطنطينية مع القديس يوحنا ذهبى الفم جعلت المؤرخين ينقسمون الى فريقين تجاه البابا ثيؤفيلس :

فريق محايد .

وفريق يدنيه « ومنهم من جَّرحه بكلمات نابيه » .

لذلك يتطلب الأمر إلى معونة الهية من لدن رب المجد يسوع المسيح مخلصنا وفادينا لدراسة أمينه بفكر انجيلى صادق ، خصوصاً بعد مرور حوالى ١٦ قرن من الزمان من تاريخ تلك الأحداث والتى لم يصلنا منها إلا الشذرات ، غير الكافيه للتحليل السليم ، الخالى من التحيز الطائفى أو العنصرى [**هذا التعبير مقصود لانه فى فترة من التاريخ كان الكتَّاب اليونانيون يجَّرحون فى الكنيسة القبطية** ...] فلا يوجد تاريخ وافٍ صادق ، سرد تفاصيل هذه الحوادث بأمانة فإن اقدم المصادر التى وصلت إلى أيدى علماء الكنيسة فى الغرب . والمعروفة حتى اليوم ــ والتى يستقى منها هذه الحوادث هى للمؤرخين القدماء :

أ ــ سوزومينوس Sozomenus وسقراطس Socrates اللذان عاشا فى القسطنطينية ومارسا مهنة المحاماه وأحبا القديس يوحنا ذهبى الفم ، وتوفيا فى القرن الخامس الميلادى .

ب ــ باللیديوس مؤرخ سير الأباء الرهبان وأقوالهم وقد كان يعشق الاوريجانية وصديقا للقديس ذهبى الفم .

ملحوظــه : الترجمة العربية لهذه الحوادث التى ذكرها هؤلاء المؤرخون موجوده فى مؤلفات كثيرة والخاصه بسيرة القديس ذهبى الفم يمكن للقارىء الرجوع اليها أن أراد وهى متوفره بالمكتبات .

فهولاء مؤرخون معتبرون وكتبهم معتمده كوثائق هامة فى التاريخ الكنسى إلا أنهم عند سردهم بعضاً من تفاصيل الحوادث الخاصة بنفى القديس ذهبى الفم . أنزلقوا متأثرين بعواطفهم الحاره من مستوى كونهم مؤرخين إلى مستوى أدنى من النقد يصل إلى حد كتابة ألفاظ جارحه فى شخص البابا تيؤفيلس .

والحقيقة ... لو أن القارىء ــ فرضا ــ قرأ هذه الحوادث كما كتبها أولئك المؤرخين ولم يقرأ أى شيء أخر عن المآثر والأعمال العظيمة للبابا ثيؤفيلس فسوف يخرج بنتيجة خطيرة كالتى خرج بها كواستن

(J.Quasten: Patrology, vol. III P.100)

أحد لاهوتى الغرب فى القرن العشرين ، لأن هذه المصادر التى فى متناول ايدينا كتّابها يصفون البابا ثيؤفيلس بصفات تجعله شخصية ليس لها مبادىء على الإطلاق ... (**هذا وقد روجعت فى هذا الصدد عشرات المؤلفات ودوائر المعارف المتخصصة التى ذكرت هذا الموضوع**) .

وللأسف ... قد حذا حذوهم كثير من كتّاب الغرب ولاهوتييه .. وأزاد عليها البعض بفلسفة تحليل المواقف ورجموا البابا بحجارة الألفاظ النابية ... وغالوا وبالغوا فى نسب التهم ... مثل جيبون E.Gibbon فى كتابه

. Decline and Fall, I, 103F

وليس عسيراً على أى باحث أن يدرك أن بعضهم كان متعصباً وأن حكمه يحمل بذور رفضه ، فعبارته تنم عن السخط والكراهية وشدة التأثر والإنفعال ، مما يجعل كلامه لا يُقْبل بحال فى ميزان التاريخ . وليسمح لنا القارىء أن ننقل هنا سطراً واحداً من كلام سوزمينوس Theophilus Kept his designes against John as secret as Possible (Book VIII chap. 14) .

كما يسمح لنا بأن نكتب وصفاً واحداً والذى يعتبر من أقل الاوصاف والأخف وطأة بالنسبة لما كتب والتى وصف جيبون بها البابا ثيؤفيلس وهو إنه (عدو أبدى للسلام) .

ومن الواضح أن مثل هذا التحامل يُسْقِط قيمة البحث الصادق وبالتالى لا يجعله مصدراً جديراً بالاعتبار ، ففى هذا الموقف يكونون قد خرجوا عن كونهم مؤرخين وجلسوا على كرسى القضاء الذى للرب وحده ليحكموا على البابا ويدينوه .

كما إنه على ما يبدو ، أن هذين المؤرخين (سوزمينوس وسقراطس) بذكرهم بعضاً من أحداث هدم المعابد الوثنية بالإسكندرية على يد البابا ثيؤفيلس ، جعل القارىء — بعد قراءتها وقراءة الأحداث الخاصة بذهبى الفم — يخرج بالاستنتاج الذى خرج به أكثر من كتَّاب الغرب بعد ذلك ، والذى يؤدى إلى أن البابا كان لايريد خيراً ولا سلاماً .

[يلاحظ فى هذا المقام ان كثيرين يتهمون البابا ثيؤفيلس بالتعدى على حرية الاديان لهدم معابد الوثنيين ولكن يلاحظ أيضا أنه لم يقدم على ذلك الا لما رأها مهجورة لا تجرى فيها عبادة فأن قسطنطين الملك كان قد أبطل الذبائح الوثنية خصوصاً التى كانت تجرى تحت جنح الظلام لأنها كانت ذبائح بشرية تعتبر كقتل وجنايات فظيعة . فضلاً عن ذلك فأن معابد اليهود كانت موجودة ومع ذلك لم يتعرض اليها البطريرك لانهم كانوا يقيمون فيها عبادتهم . وقال البعض إن البابا هدم مكتبة

السيرابيوم لكي يتهموه بالتخلف والجهل . وقد فندت الاستاذه ايريس المصرى هذا الرأى فى كتابها قصة الكنيسة القبطية جزء ١ ــ (البنود من ٤٥٥ إلى ٤٥٨) . كما أنه يجب أن يوخذ فى الاعتبار العامل الهام الذى كان معضداً لهجوم كتّاب الغرب على البابا وهو أن منذ الانقسام الخلقيدونى فى القرن الخامس والكنيسة البيزنطية (اليونانية) تضطهد كنيسة الإسكندرية وانضمت اليها أيضا الكنيسة اللاتينية بتوجيه إالاهانات والتهم للكنيسة القبطية .

كما أنه من المعروف أن المصدر الوحيد للمعرفة عن الاقباط فى العالم الغربى كان من الكتاب اليونانين واللاتين الذين كانوا دائما يصوّرون كنيسة الاسكندرية على حسب نظرهم وانتقاداتهم ...]

وعلى النقيض فإن :

١ ــ الابوفثجماتا باتروم Apophthegmata Patrum

أى اقوال الأباء الشيوخ فى المخطوطات اليونانية القديمة !! قد وصفت البابا ثيؤفيلس بالقداسة والغبطة .

Blessed Archbishop Theophilus

(Arsenius, item no. 7)

وبأنه كبير وعظيم

Great Theophilus

(Epiphanius, item no. 2)

مما يدل على سمعة البابا الطيبة فى الوسط الرهبانى .

٢ ــ القديس جيروم St. Jerom كان يحترم البابا ثيؤفيلس ويجله كثيراً ... ووصفه فى كتاباته ورسائله بقوله :

The most blessed pope Theophilus

٣ ــ والمؤرخ ثيؤدوريت **Theodoret** يقول عنه :

- A man of sound wisdom and of a lofty courage (Book V , chap. XXII)

- Blessed Theophilus bishop of Alex. (Dialogues, P.209)

٤ ــ كذلك ارنوبيوس **(Arnobius; conflictus 2, 18)** .

والبابا ليو الكبير **(Pope Leo the Great Ep. 53. 36. 74)**

وفيجيليوس تابس **(Vigilius Taps C.Eut. 1,15)** .

وكثيرون أخرون يعتبرون البابا ثيؤفيلس أباً من أباء الكنيسة .

(Dizionario Patristico Ediantichita Cristiane, diretto da: Angelo Di Berardino, Vol. II, P. 3403, 3404)

وبالرغم من ان باللديوس هاجم البابا ثيؤفيلس فى كتابه :

(Dialogus De Vita, John Chrysostom)

ولكن فى سرده لسير الاباء القديسين والنساك وكتاباته لأقوالهم المأثورة وصف البابا ثيؤفيلس بالكلمات :

المغبوط Blessed man

القديس Saint

ومن المؤلفات الحديثة (والمحايدة فى موقفها) :

+ الأب شينو **R.P.Paul Cheneau** فى كتابه **Les Saints D'Egypt** الجزء الأول من صفحة ١٤٤ الى ١٤٩ طبعة أورشليم ١٩٢٣ وصف البابا ثيؤفيلس بأنه عالم فى العلوم ، له ايمان راسخ ، وحزم فى الادارة ، ونشاط لا ينقطع ،

وسلوك متكامل . وبالنسبة لقضية ذهبى الفم إعتبرها نقطة ضعف لدى البابا بقوله : من معصوم من الخطأ ؟

+ **قاموس اللاهوت الكاثوليكى**

Dictionnaire de Theologie Catholique,

A.Vacant, E.Mangenot, Mgr E.Amann,

Tome Quinzieme, P.523 — 530, 1946

يصف البابا ، بأنه كان مكرماً كأنسان من الله ، محباً ، عظيماً ، قوياً ، فصيح البيان ، مملؤ قداسة ، تظهر عليه النعمة الألهية وصديقاً للقديسين ورهبان الصحراء ...

+ **والمطران افتيميوس صيفى** ، مطران صور وصيدا فى كتابه الدلالة اللامعة صـ ١١٧ يذكر ان الكنيسة الجامعة تعد الانبا ثيؤفيلس من بين معلميها ولقد مات قديساً .

[**النص مقتبس من كتاب قصة الكنيسة القبطية لايريس المصرى جـ١ صـ٣٩٠**]

وفى الخاتمة ... يجب أن تقال الحقيقة لأجل التاريخ والأجيال المقبلة ... نحن ــ الذين وصلنا الى نهاية الأزمنة ... ألا وهى :

إن القديسين يوحنا ذهبى الفم والبابا ثيؤفيلس اللذين تجلُّهما الكنيسة القبطية وتذكرهما فى مجمع القداس الالهى ومسجله تذكاراتهما فى السنكسار القبطى وكتب الكنيسة ... لهما يتمتعان بالحياة الفضلى فى أحضان القديسين فى فردوس النعيم .. وليس من الصالح تضييع الوقت فى إقتحام ذلك الموضوع المعقد وخصوصاً بعد مرور ما يقرب من ١٦ قرناً من الزمان لم تصل الينا من تلك الاحداث إلا القليل .

وكاتب هذه الأسطر ... يناشد الباحثين والمهتمين بسيرة القديس يوحنا ذهبى الفم

[حيث قد تغلغلت فى بعض الترجمات العربية لسيرة القديس يوحنا ذهبى الفم ، روح غريبة غير مسيحية لاتمت الى التسامح الانجيلى بصلة ، بل بالعكس مشحونة بما لايمجد اسم السيد المسيح إلهنا ... (فى خصوص هذه المشكلة بالذات)]

بان لايضيعوا أوقاتهم الثمينة فى دراسة تلك الحوادث التى نفى فيها القديس يوحنا ذهبى الفم ، لانها ستكون دراسة غير سليمة وغير مبنية على أسس علمية صحيحة وذلك لتناقض مصادرها فى بعض الأمور ولقصورها فى سرد بعض الاحداث كما لا يقبلها العقل الروحانى فى العالم المسيحى عموماً .. لأنها ترتبط بالحكم والإدانة على شخصية إنسانية لا يمتلك شرعيته إلا الرب وحده لأنه هو الحاكم والديان العادل . كما أن الروح المسيحية والتمييز الانجيلى والعمق الايمانى الأصيل ، لايتطرق لهذه الأمور .

ولربنا المجد دائماً أمين

فهرست

صفحة

— مقدمة ٧
— سياسة الامبراطورية الرومانية تجاه الكنيسة ومكانة الكرسى الاسكندرى ١٣
— البابا ثيؤفيلس ١٨
— هدم المعابد الوثنية فى الامبراطورية الرومانية وبناء الكنائس ... ٢٧
— هدم المعابد الوثنية فى الاسكندرية ٣٢
— اهتمام البابا ثيؤفيلس بأبن أخته كيرلس ٤١
— البابا والرعية ٤٣
— الرهبنة فى عهد البابا ثيؤفيلس ٤٨
— عمارة الكنائس فى عهد البابا ثيؤفيلس ٥٨
— كتابات البابا ثيؤفيلس ٦٤
— نصوص من عظات واقوال البابا ثيؤفيلس ٦٨
— نياحته ٨١
— دراسة تحضيرية
مشاكل عصيبة فى حياة البابا ثيؤفيلس ٨٢

MP
ΘΥ
ΙC ΧC

Pope

Theophilus

Patriarch of

Alexandria

385 - 412 A.D

Edited by:

The Holy Virgin St. Mary's Monastery,
Al- Muharraq, Assiut, Egypt.